دُرَرٌ مِن تَفسِيرِ القُرطُبِيِّ

إبراهيم محمد اليافعي

حقوق الطبع غير محفوظة
يحق لأي شخص طباعة الكتاب
وبيعه وتوزيعه

درر
من تفسير القرطبي

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.. **وبعد**.

فهذه مائتان وخمسون درة جمعتها لك من تفسير الإمام القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ المسمَّى (**الجامع لأحكام القرآن**). وهذه الدرر والفوائد مشتملة على درر في العقيدة والفقه والأخلاق وسائر العبادات والمعاملات... وغيرها.

ولما كان الكثير من الناس لا يطلعون على هذه الكتب ـ ومنها تفسير القرطبي ـ ولا يعرفون قيمة ما فيها من الأحكام والفوائد والدروس..؛ انتقيت من هذا الكتاب هذه الدرر والفوائد في كتاب يكون في متناول الجميع؛ لتعم فائدتها، ويسهل على الجميع الاطلاع عليها، وأخذ الفوائد منها.

انتقيت من هذا الكتاب حسب ما رأيت فيها النفع والفائدة، ولا أدعي أنني جمعت كل الدرر؛ فقد يأتي بعدي من يطلع على تفسير القرطبي؛ ليستخرج أضعاف ما استخرجته.

عملي في هذا الكتاب:

١ ـ أحيانًا يستشهد الإمام القرطبي بأحاديث فيها الصحيح وفيها الضعيف والموضوع؛ لذلك لم أنقل ـ من هذا التفسير ـ إلا الأحاديث الصحيحة، وتركت أي حديث ضعيف أو موضوع استشهد به؛ فبالأحاديث الصحيحة غنى عن ذلك.

٢ ـ عندما يرد في الكلام كلام ليس من تفسير القرطبي ـ سواء كان من كلامي أو من غيره ـ أضعه بين معقوفين [ ].

٣ ـ عندما ترد كلمة غير مفهومة أقوم بتوضيح معنى هذه الكلمة وتقريب معناها للقارئ؛ لتعم فائدة هذا الكتاب. وعندما أزيد توضيحًا أو معلومات لكلمة ما أضع التوضيح بين قوسين هلاليين ( ).

٤ ـ دققت الكتاب إملائيًا؛ من الهمزات والحركات وعلامات الترقيم وغيرها.

٥ ـ في تفسير القرطبي الكثير من الدرر والفوائد اللغوية ـ في النحو والبلاغة ـ وغيرها من الأبيات الشعرية، لكنني لم أذكرها لأن هذه الدرر ليست موجهة فقط لشريحة معينة، أو لمتذوقي الشعر العربي فقط؛ إنما هذه الدرر أردت أن يقرأها ويفهمها كل من قرأ هذا الكتاب.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله مني، إنه جواد كريم.

إبراهيم محمد اليافعي

جمادى الأولى ١٤٤٣هـ

للتواصل مع المؤلف:

اتصال ٠٠٩٦٧٧١١١٦٨٠٧٢

اتصال وواتساب ٠٠٩٦٧٧٣٩٨٠٢١٥٣

من هو الإمام القرطبي؟

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي.

ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري (ما بين ٦٠٠ ـ ٦١٠هـ)، وعاش بها، ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفّي.

نشأة الإمام القرطبي وتربيته:

أقبل القرطبي منذ صغره على العلوم الدينية والعربية إقبال المحبّ لها، الشغوف بها؛ ففي قرطبة تعلم العربية والشعر إلى جانب تعلمه القرآن الكريم، وتلقى بها ثقافة واسعة في الفقه والنحو والقراءات وغيرها على جماعة من العلماء المشهورين، وكان يعيش آنذاك في كنف أبيه ورعايته، وبقي كذلك حتى وفاة والده.

وكان إلى جانب تلقيه العلم ينقل الآجُرَّ لصنع الخزف في فترة شبابه، وقد كانت صناعة الخزف والفخَّار من الصناعات التقليدية التي انتشرت في قرطبة آنذاك. وكانت حياته متواضعة.

عاش مأساة الأندلس، فقد بقي بقرطبة حتى سقوطها، وخرج منها نحو عام ٦٣٣هـ، فرحل إلى المشرق طلبًا للعلم من مصادره، فانتقل إلى مصر التي كانت محطًّا لكثير من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم؛ فدرس على أيدي علمائها، واستقرَّ بها.

ملامح شخصية الإمام القرطبي وأخلاقه:

١ ـ زهد القرطبي وورعه:

كان القرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ من الزهد والورع بمكان، ومن ثَمَّ أثنى عليه المؤرخون لتحلِّيه بهذه الصفات الحميدة؛ قال ابن فرحون: كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين، الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة.

ونرى في مطالعتنا لكتب القرطبي نَفَس العالِم الصالح الورع الزاهد في كل صفحة من صفحاتها، فهو يشكو دائمًا من كثرة الفساد، وانتشار الحرام، والابتعاد عن الواجبات، والوقوع في المحرمات.

ومن مظاهر ورعه وزهده؛ تصنيفه كتابي (**قمع الحرص بالزهد والقناعة**) و(**التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**). ومن مظاهره أيضًا؛ ذَمُّه الغِنَى الذي يجعل صاحبه مزهوًّا به، بعيدًا عن تعهُّد الفقراء، ضعيفًا في التوكل على ربّ الأرض والسماء.

٢ ـ شجاعة القرطبي وجرأته في الحق:

لا غرابة في أن يكون القرطبي شجاع القلب، جريئًا في إعلان ما يراه حقًّا؛ لأنه قد اكتسب تلك الأسباب التي تسلحه بهذه الجرأة من علم واسع، وورعٍ مشهود، واستهانة بالدنيا ومظاهرها؛ لهذا كان ـ رحمه الله تعالى ـ ممن لا تأخذه في الله لومة لائم؛ ويتمثل هذا في إيمائه في أكثر من موضع في تفسيره إلى أن الحكام في عصره حادوا عن سواء السبيل، فهم يظلمون ويرتشون، وتسوَّد عندهم أهل الكتاب، ومن ثَمَّ فهم ليسوا أهلًا للطاعة، ولا للتقدير.

نذكر من ذلك ما كتبه في (**التذكرة**) إذ يقول: هذا هو الزمان الذي استولى فيه الباطل على الحق، وتغلَّب فيه العبيد على الأحرار من

الخلق، فباعوا الأحكام، ورضي بذلك منهم الحكام، فصار الحُكم مكسًا، والحق عكسًا لا يوصل إليه، ولا يقدر عليه، بدَّلوا دين الله، وغيَّروا حكم الله، سمَّاعون للكذب أكَّالون للسحت، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

٣ ـ الجدية ومضاء العزيمة في حياة القرطبي:

إن الدارس لحياة القرطبي ليعجب كل العجب من حياة الجد والصرامة التي أخذ نفسه بها حتى ألِفها؛ فهو ـ رحمه الله تعالى ـ قد كرَّس حياته للعلم والمطالعة والتأليف، دون أن يُؤثَر عنه ملل أو سَأَم، أو يُعرف عنه أنه كان يتوقف عن ذلك لراحةٍ أو استجمام؛ ولذا وصفه مترجموه بقولهم: أوقاته معمورة ما بين توجُّه وعبادة وتصنيف.

ولا شك أن جدية إمامنا القرطبي كانت بسبب استشعار قيمة وعظمة ما يدرس ويصنّف، فهو على صلة دائمة مع النصوص الشرعية التي تحث على الصدق في القول والعمل، ومخاطبة الناس بالطيب من القول، وتنهى عن السفه وبذاءة اللسان، وتنفّر من الكبر والرياء والنفاق، وتحذّر من الافتتان بمباهج الحياة والانسياق وراء مغرياتها. ولا نستغرب ولا تنتابنا الدهشة من هذا الخُلُق إذا فهمنا البواعث النفسية التي كانت تسيطر على صاحبنا، فهو كثير الهمّ على مسلمي عصره، شديد التمسك بسُنَّة نبيه، متأثر بما حلَّ ببلاده، حريص على العلم الشرعي، فضلًا عن تأثره بخُلُق كثير من مشايخه ـ لا سيما المحدّثين منهم ـ الذين كانوا يتصدرون لتدريس الحديث وروايته، ويحرصون كل الحرص على التقيد بالآداب العامة، ويتشددون في التزامها والتحلي بها؛ كي يكون لهم المهابة والوقار في نفوس مستمعيهم وطلابهم، وحتى لا يكون هناك تناقض بين سلوكهم وأقوالهم، بل هم يشددون على أنفسهم كي يكونوا قدوةً حسنة لتلاميذهم.

٤ ـ أمانة الإمام القرطبي:

كان القرطبي رحمه الله تعالى يلتزم الأصول العلمية، ويتبع أساليب العلماء الفضلاء الذين لا يعنيهم إلا أن يُثبِتوا الفضل لأهله، ويتورعوا عن أن ينسبوا لأنفسهم ما ليس لهم؛ وهذه هي الأمانة العلمية التي يعمل علماء العالم الآن على تأصيلها، وتثبيت قيمها، واتخاذ أساليب لتنفيذها؛ ولا يتصور أنها تخرج عما ارتضاه الإمام القرطبي لنفسه حين كتب تفسيره؛ حيث قال: وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف إلى قائله.

٥ ـ اجتهاد الإمام القرطبي وكثرة مطالعته:

ذكر غير واحد من مؤرخي حياة إمامنا القرطبي أن أوقاته كانت معمورة بين توجه للعبادة أو التصنيف؛ وهذا شأن العلماء، وسمة العارفين الفضلاء، ومنشأ هذه الميزة في شخصيته العلمية هي جديته في الحياة، ومضاء عزيمته كما ذكرنا.

كان ـ رحمه الله تعالى ـ كثير المطالعة، مُجدًّا في التحصيل، كثير الحديث عما يشكل. وكان يحب الكتب حبًّا جمًّا، ويحرص على جمعها واقتنائها، حتى لقد تجمَّع لديه منها مجموعات كثيرة منوَّعة؛ ولو أن باحثًا قام بجمع موارده في تفسيره فقط؛ لتجمَّع لديه الشيء الكثير، والعجب العجاب من آثار المشرقيين والمغربيين معًا.

مؤلفات الإمام القرطبي:

ذكر المؤرخون للقرطبي ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عدَّة مؤلفات غير تفسيره العظيم (**الجامع لأحكام القرآن**)؛ ومن هذه المؤلفات:

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وهو مطبوع متداول.
- التذكار في أفضل الأذكار، وهو أيضًا مطبوع متداول.
- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.
- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام.
- قمع الحرص بالزهد والقناعة وردّ ذُل السؤال بالكسب والصناعة.

وقد أشار القرطبي في تفسيره إلى مؤلفات له، منها: المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس، واللمع اللؤلؤية في شرح العشرينات النبوية، وغيرها من التصانيف.

منهج القرطبي في التفسير:

قدَّم المؤلف لتفسيره مقدمة حافلة ببيان فضائل القرآن وآداب حملته، وما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به. ثم أوضح مقصده وباعثه على كتابة هذا التفسير بقوله: وعملته تذكرةً لنفسي، وذخيرةً ليوم رَمْسِي، وعملًا صالحًا بعد موتي. وقد التزم القرطبي في هذا التفسير الأمانة العلمية، والموضوعية في الإفادة من أسلافه؛ فقال: وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها؛ فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله.

وكان لا يقف في تفسير القرآن عند حدّ ما رُوي من ذلك عن الرسول ـ ﷺ ـ والسلف الصالح، بل يتخذ ما أُوتيه من أدوات العلم وسيلةً يستعين بها على فهمه، وكان يقصد إلى تفسير القرآن الكريم ببيان التعبير القرآني وأسراره ومنزلته من الكلام العربي، ومن هنا عنِي باللغات والإعراب والقراءات؛ كان يورد الآية أو الآيات ويفسرها بمسائل

يجمعها في أبواب، فيقول مثلًا: تفسير سورة الفاتحة، وفيه أربعة أبواب؛ الباب الأول: في فضلها وأسمائها، وفيه سبع مسائل ويذكرها. الباب الثاني: في نزولها وأحكامها، وفيه عشرون مسألة. الباب الثالث: في التأمين، وفيه ثماني مسائل. الباب الرابع: فيما تضمنته الفاتحة من المعاني والقراءات والإعراب، وفضل الحامدين، وفيه ست وثلاثون مسألة، وهكذا.

وتارةً يكون التفسير بمسائل يعدُّها على نحو ما تقدم من دون فتح باب، ولا ذكر عنوان. وكان القرطبي في هذه المباحث أو المسائل ينتقل من تفسير المفردات اللغوية وإيراد الشواهد الشعرية، إلى بحث اشتقاق الكلمات ومآخذها، إلى تصريفها وإعلالها، إلى تصحيحها وإعرابها، إلى ما قاله أئمة السلف فيها، إلى ما يختاره المؤلف أحيانًا من معانيها. وأحسن المؤلف كل الإحسان بعزو الأحاديث إلى مخرّجيها من الصحيحين وأصحاب الكتب الستة وغيرهم.

وكان القرطبي يبين أسباب النزول، ويذكر القراءات واللغات ووجوه الإعراب، وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، وتحديد أقوال الفقهاء، وجمع أقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف؛ ثم أكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، ونقل عمن سبقه في التفسير، مع تعقيبه على ما ينقل عنه، مثل ابن جرير، وابن عطية، وابن العربي، وإلْكِيَا الهرَّاسي، وأبي بكر الجصَّاص.

وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين والإسرائيليات، وذكر جانبًا منها أحيانًا؛ كما ردَّ على الفلاسفة والمعتزلة وغلاة المتصوفة وبقية الفرق، ويذكر مذاهب الأئمة ويناقشها، ويمشي مع الدليل، ولا يتعصب لمذهبه المالكي، وقد دفعه الإنصاف إلى الدفاع عن

المذاهب والأقوال التي نال منها ابن العربي المالكي في تفسيره، فكان القرطبي حرًّا في بحثه، نزيهًا في نقده، عفيفًا في مناقشة خصومه، وفي جدله، مع إلمامه الكافي بالتفسير من جميع نواحيه، وعلوم الشريعة.

وفاة الإمام القرطبي:

في (مُنْيَة الخصيب) بصعيد مصر، كانت وفاة عالمنا الجليل ليلة الإثنين، التاسع من شهر شوال سنة ٦٧١هـ، وقبره بالمنيا شرق النيل.

تنويه: نقلت هذه الترجمة من موقع طريق الإسلام على شبكة الإنترنت.

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

من هذه السورة اخترت هذه الدرر:

الأولى: القول في الاستعاذة:

أمر الله تعالى بالاستعاذة عند أول كل قراءة؛ فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾.

أي إذا أردت أن تقرأ؛ فأوقع الماضي موقع المستقبل.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، وأن كل فعلين تقاربا في المعنى جاز تقديم أيهما شئت؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾. المعنى: فتدلى ثم دنا.

ومثله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾. [أي؛ انشق القمر واقتربت الساعة]. وهو كثير.

ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد ذكر الطوفان وانقضائه في قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

فذكر إهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾. فذكر الركوب متأخرًا في الخطاب، ومعلوم أن ركوبهم كان قبل الهلاك.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل

لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾. وتقديره: أنزل على عبده الكتاب قيمًا، ولم يجعل له عوجا. ومثله في القرآن كثير.

الثانية: قيل: سميت ـ الفاتحة ـ بأم القرآن:

لأنها أوله ومتضمنة لجميع علومه، وبه سميت مكة أم القرى؛ لأنها أول الأرض ومنها دُحيت، ومنه سميت الأمُّ أمًّا؛ لأنها أصل النسل، والأرض أمًّا؛ كما في قول أمية بن أبي الصلت:

فالأرض معقلنا وكانت أمّنا فيها مقابرنا وفيها نولدُ.

ويقال لراية الحرب أمٌّ؛ لتقدمها واتباع الجيش لها.

الثالثة: سُميت [سورة الفاتحة] بالقرآن العظيم:

لتضمنها جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله ﷻ بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم، وكفاية أحوال الناكثين، وعلى بيانه عاقبة الجاحدين.

الرابعة: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾.

وصف نفسه تعالى بعد رب العالمين، بأنه الرحمن الرحيم؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ترهيب قرنه بـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾، لِما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه، والرغبة إليه؛ فيكون أعون على طاعته وأمنع؛ كما قال ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾. وقال ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾.

الخامسة: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾.

إن قال قائل: كيف قال مالك يوم الدين ويوم الدين لم يوجد بعد، فكيف وصف نفسه بُملك ما لم يُوجده؟.

قيل له: اعلم أن مالكًا اسم فاعل من ملك يملك، واسم الفاعل في كلام العرب قد يضاف إلى ما بعده؛ وهو بمعنى الفعل المستقبل؛ ويكون ذلك عندهم كلامًا سديدًا معقولًا صحيحًا؛ كقولك: هذا ضاربُ زيد غدًا؛ أي سيضرب زيدًا.

وكذلك: هذا حاج بيت الله في العام المقبل؛ تأويله سيحج في العام المقبل.

أفلا ترى أن الفعل قد ينسب إليه وهو لم يفعله بعد؟. وإنما أريد به الاستقبال؛ فكذلك قوله ﷻ: مالك يوم الدين. على تأويل الاستقبال؛ أي سيملك يوم الدين، أو في يوم الدين إذا حضر.

السادسة: قد يقال: لم خصص يوم الدين وهو مالك يوم الدين وغيره؟.

قيل له: لأن في الدنيا كانوا منازعين في المُلك ـ مثل فرعون ونمروذ وغيرهما ـ وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه، وكلهم خضعوا له؛ كما قال تعالى ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾. فأجاب جميع الخلق ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

فلذلك قال: مالك يوم الدين؛ أي في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاضٍ ولا مجازٍ غيره سبحانه لا إله إلا هو.

۞ **السابعة**: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾.

اهدنا: دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب؛ والمعنى: دلنا على الصراط المستقيم، وأرشدنا إليه، وأرِنا طريق هدايتك الموصلة إلى أُنسك وقربك.

وقيل: اهدنا؛ الأصل فيه الإمالة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾؛ أي ملنا.

وخرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مرضه يتهادى بين اثنين؛ أي يتمايل. ومنه الهدية؛ لأنها تُمال من مِلْك إلى مِلْك؛ فالمعنى مِلْ بقلوبنا إلى الحق.

۞ **الثامنة**: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

في هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة والإمامية (الاثني عشرية)؛ لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه ـ طاعة كانت أو معصية ـ؛ لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه؛ وقد أكذبهم الله تعالى في هذه الآية، إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم؛ فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة؛ وكذلك تضرعهم إليه في دفع المكروه، وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يضلهم، وكذلك يدعون فيقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾.

سورة البقرة

ومنها جمعت أربعًا وعشرين درة:

الأولى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

الهُدى هديان: هدى دلالة [وإرشاد]؛ وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم.

قال الله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾. وقال ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾.

فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه؛ وتفرد هو سبحانه بالهدى [الثاني]؛ الذي معناه التأييد والتوفيق؛ فقال لنبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب؛ ومنه قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾. وقوله ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

الثانية: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٦٦﴾.

خص الله تعالى المتقين بهدايته ـ وإن كان هدى للخلق أجمعين ـ تشريفًا لهم؛ لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه.

وروي عن أبي روق أنه قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾؛ أي كرامة لهم؛ يعني إنما أضاف إليهم إجلالًا لهم وكرامة لهم وبيانًا لفضلهم.

الثالثة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾.

ينفقون: يخرجون. **والإنفاق**: إخراج المال من اليد. ومنه نفق البيع؛ أي خرج من يد البائع إلى المشتري. **ونفقت الدابّة**: خرجت روحها. ومنه النافقاء لجُحر [وبيت] اليربوع الذي يخرج منه إذا أُخذ من جهة أخرى. ومنه المنافق؛ لأنه يخرج من الإيمان، أو يخرج الإيمان من قلبه.

وأنفق القوم: فني زادهم. ومنه قوله تعالى ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾.

قال علماؤنا: إن في قوله تعالى ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ردًا على القدرية في قولهم: يخلقون إيمانهم وهداهم. تعالى الله عن قولهم. ولو كان كما قالوا لقال: من أنفسهم.

الرابعة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

قال أهل المعاني: وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف:

بالختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت والقساوة والانصراف والحمية والإنكار.

فقال في الإنكار (بل قلوبهم منكرة وهم مستكبرون).

وقال في الحمية ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

وقال في الانصراف ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

وقال في القساوة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾. وقال ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

وقال في الموت ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.

وقال ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وقال في الران ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وقال في المرض ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

وقال في الضيق ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

وقال في الطبع ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾.

وقال ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾.

وقال في الختم ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.

وفي هذه الآية أدل دليل وأوضح سبيل على أن الله سبحانه خالق الهدى والضلال، والكفر والإيمان، فاعتبروا أيها السامعون، وتعجبوا أيها المفكرون من عقول القدرية القائلين بخلق إيمانهم وهداهم، فإن الختم هو الطبع فمن أين لهم الإيمان ولو جهدوا؛ وقد طبع على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة. فمتى يهتدون، أو من يهديهم من بعد الله؛ إذا أضلهم وأصمهم وأعمى أبصارهم؟!. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

الخامسة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

قال علماء اللغة: إنما سمي المنافق منافقًا؛ لإظهاره غير ما يضمر، تشبيها باليربوع (نوع من أنواع الفئران) له جُحر يقال له: النافقاء؛ وذلك أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض أرقّ التراب، فإذا رابه ريب دفع ذلك التراب برأسه فخرج، فظاهر جحره تراب، وباطنه حفر. وكذلك المنافق ظاهره إيمان، وباطنه كفر.

السادسة: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

أي ينتقم منهم ويعاقبهم، ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم، فسمى العقوبة باسم الذنب.

هذا قول الجمهور من العلماء، والعرب تستعمل ذلك كثيرًا في كلامهم؛ من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلًا أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

فسمى انتصاره جهلا، والجهل لا يفتخر به ذو عقل، وإنما قاله ليزدوج الكلام فيكون أخف على اللسان من المخالفة بينهما.

وكانت العرب إذا وضعوا لفظًا بإزاء لفظ جوابًا له وجزاء ذكروه بمثل لفظه وإن كان مخالفًا له في معناه؛ وعلى ذلك جاء القرآن والسنة.

قال الله ﷻ ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾. وقال ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداء؛ لأنه حق وجب.

ومثله ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾.

وكذلك ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾.

وأيضًا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾. وليس منه سبحانه مكرٌ ولا هزءٌ ولا كيدٌ؛ إنما هو جزاء لمكرهم واستهزائهم وجزاء كيدهم.

وكذلك ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾.

وقوله ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«**إن الله لا يمل حتى تملوا، ولا يسأم حتى تسأموا**». متفق عليه.

قيل: حتى بمعنى الواو؛ أي وتملوا. وقيل: المعنى وأنتم تملون. وقيل: المعنى لا يقطع عنكم ثواب أعمالكم حتى تقطعوا العمل.

السابعة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾.

قال مالك بن أنس ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يُورّث جلساءه من بعده لا أدري؛ حتى يكون أصلًا في أيديهم، فإذا سُئِل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري.

وذكر الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سُئِل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري.

ومثله كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين؛ وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسة وعدم الإنصاف في العلم.

قال ابن عبد البر: من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهّم.

روى يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت ابن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف.

قلت ـ أي القرطبي ـ هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام وطُلب فيه العلم للرياسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن؛ وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى.

أين هذا مما روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد قال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العصبة ـ يعني يزيد بن الحصين الحارثي ـ فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال. فقامت امرأة من صوب النساء فقالت: ما ذلك لك. قال: ولِمَ؟. قالت: لأن الله عز وجل يقول:

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾. فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل عليًا ـ رضي الله عنه ـ عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين؛ ولكن كذا وكذا. فقال علي: أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم.

وذكر أبو محمد قاسم بن أصبغ قال: لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان (مدينة في تونس بناها الفاتح المسلم عقبة بن نافع سنة ٥٠ للهجرة) فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدّد، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس، فلما انصرفت عدت إليه لتمام حديث مسدّد، فقرأت عليه فيه يومًا حديث النبي ﷺ: أنه قدم عليه قوم من مضر من مجتابي النّمار فقال: إنما هو مجتابي الثمار. فقلت: إنما هو «مجتابي النمار»، هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق، فقال لي:

بدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا أو نحو هذا. ثم قال لي: قم بنا إلى ذلك الشيخ ـ لشيخ كان في المسجد ـ فإن له بمثل هذا علمًا. فقمنا إليه فسألناه عن ذلك فقال: إنما هو «مجتابي النمار» ـ كما قلت ـ وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة، جيوبهم أمامهم. والنمار جمع نمرة. (النّمار؛ نوع من أنواع ثياب العرب).

فقال بكر بن حماد وأخذ بأنفه: رغم أنفي للحق، رغم أنفي للحق. وانصرف.

۞ **الثامنة**: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال عليه الصلاة والسلام: «**رأيت ليلة أُسري بي رجالًا تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟. فقال: الخطباء من أمتك؛ يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**».

قلت ـ أي القرطبي ـ فقد دل الحديث الصحيح وألفاظ الآية على أن عقوبة من كان عالمًا بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه وإنما ذلك؛ لأنه كالمستهين بحرمات الله تعالى ومستخف بأحكامه.

قلت ـ المؤلف ـ: في هذا المقام تذكرت حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال عليه الصلاة والسلام:

«**يُجاء بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه (أي تنزل أمعاء بطنه) في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟.**

أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه». رواه البخاري ومسلم.

۞ **التاسعة:** ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

قال سهل بن عبد الله: لا يكون خاشعًا حتى تخشع كل شعرة على جسده. لقول الله تبارك وتعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

وهذا هو الخشوع المحمود؛ لأن الخوف إذا سكن القلب أوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه؛ فتراه مُطرِقًا متأدبًا متذللًا.

وقد كان السلف يجتهدون في ستر ما يظهر من ذلك؛ وأما [الخشوع] المذموم فتكلفه والتباكي، ومطأطأة الرأس كما يفعله الجهال؛ ليُرَوا بعين البر والإجلال؛ وذلك خدع من الشيطان، وتسويل من نفس الإنسان. فمن أظهر للناس خشوعًا فوق ما في قلبه؛ فإنما أظهر نفاقًا على نفاق.

۞ **العاشرة:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾.

قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا. على جهة الطلب والرغبة ـ من المراعاة ـ؛ أي التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًّا؛ أي اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبه سرًّا فالآن نسبه جهرًا، فكانوا يخاطبون بها النبي ـ ﷺ ـ ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود:

عليكم لعنة الله! لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي ـ ﷺ ـ لأضربن عنقه. فقالوا: أولستم تقولونها؟. فنزلت الآية. ونهوا عنها؛ لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه.

وفي هذه الآية دليلان؛ **أحدهما**:

على تجنب الألفاظ المحتملة التي فيها التعريض للتنقيص.

الدليل الثاني: التمسك بسد الذرائع وحمايتها وهو مذهب مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وقد دلَّ على هذا الأصل الكتاب والسنة. والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع.

أما الكتاب فهذه الآية؛ ووجه التمسك بها أن اليهود كانوا يقولون ذلك وهي سبّ بلغتهم، فلما علم الله ذلك منهم منع من إطلاق ذلك اللفظ؛ لأنه ذريعة للسب.

وقوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾.

فمنع من سب آلهتهم مخافة مقابلتهم بمثل ذلك.

وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة؛ منها: حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أم حبيبة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ ذكرتا كنيسة رأياها بالحبشة فيها تصاوير [فذكرتا ذلك] لرسول الله ﷺ ـ فقال:

«**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات؛ بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**». أخرجه البخاري ومسلم.

قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأنَّسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة؛ فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون الله ﷻ عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان بأن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصورة؛ فعبدوها.

وروى مسلم عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه...**».

فمنع من الإقدام على الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات؛ وذلك سدّا للذريعة.

وقال ﷺ: «**إن من الكبائر شتم الرجل والديه** قالوا: يا رسول الله: وهل يشتم الرجل والديه؟. قال: **نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه**». فجعل التعرض لسب الآباء كسبّ الآباء.

۞ **الحادية عشر**: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٩﴾.

العفو: ترك المؤاخذة بالذنب.

والصفح: إزالة أثره من النفس.

۞ **الثانية عشرة**: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾.

إذا كان الله تعالى يحييهم بعد الموت ليرزقهم، فيجوز أن يحيي الكفار ليعذبهم، ويكون فيه دليل على عذاب القبر. والشهداء أحياء كما قال الله تعالى.

۞ **الثالثة عشرة**: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾.

جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأً لذوي المصائب، وعصمة للممتحَنين؛ لما جمعت من المعاني المباركة.

فإن قوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾؛ توحيد وإقرار بالعبودية والملك. وقوله ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾؛ إقرار بالهلاك على أنفسنا، والبعث من قبورنا، واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له.

۞ **الرابعة عشرة:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾.

أخبر تعالى بأن الشيطان عدو، وخبر [الله] حق وصدق.

فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم؛ وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال جل من قائل:

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾. وقال ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾. وقال ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾. وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾. وقال ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾. وقال ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾.؛ وهذا غاية في التحذير، ومثله في القرآن كثير.

۞ **الخامسة عشرة:** ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

شبه تعالى واعظ الكفار وداعيهم وهو محمد ـ ﷺ ـ بالراعي الذي ينعق بالغنم والإبل؛ فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، ولا تفهم ما يقول.

هكذا فسره ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي والزجاج والفراء وسيبويه؛ وهذه نهاية الإيجاز.

قال سيبويه: لم يُشبَّهوا بالناعق إنما شبهوا بالمنعوق به.

والمعنى: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم.

۞ **السادسة عشرة:** ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

قال علماؤنا: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة:

الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار والملائكة والكتب المنزلة وأنها حق من عند الله والنبيين وإنفاق المال فيما يعين من الواجب والمندوب وإيصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل، والسائل، وفك الرقاب، والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد، وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلى كتاب.

۞ **السابعة عشرة:** ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

البأساء: أي الشدة والفقر، والضراء: أي المرض، وحين البأس: أي وقت الحرب.

۞ **الثامنة عشرة:** ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

والمعنى: أن القصاص إذا أقيم وتحقق الحكم فيه؛ ازدجر من يريد قتل آخر، مخافة أن يُقتص منه فحييا بذلك معًا.

وكانت العرب إذا قتل الرجل الآخر حمي قبيلاهما وقاتلوا؛ وكان ذلك داعيًا إلى قتل العدد الكثير، فلما شرع الله القصاص؛ قنع الكل به وتركوا الاقتتال؛ فلهم في ذلك حياة.

۞ **التاسعة عشرة:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟!.

قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة؛ وذلك كالسحر، ووقت الفطر، وما بين الأذان والإقامة، وأوقات الاضطرار، وحالة السفر والمرض، وعند نزول المطر، والصف في سبيل الله. كل هذا جاءت به الآثار.

۞ **العشرين**: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

عن أسلم أبي عمران قال: غزونا القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه! [تُقال للتعجب والاستنكار] لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الأنصاري: سبحان الله! أُنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه، قلنا:

هَلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله ﷻ ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ... ﴿١٩٥﴾﴾. والإلقاء باليد إلى التهلكة؛ أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، فلم يزل أبو أيوب مجاهدًا في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية. رواه أبو داود والحاكم.

فقبر ـ أبي أيوب الأنصاري ـ هناك.

فأخبرنا أبو أيوب أن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله، وأن الآية نزلت في ذلك.

۞ **الحادية والعشرين**: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾.

هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة.

قيل لأنس: ادع الله لنا، فقال: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. قالوا: زِدنا. قال: ما تريدون قد سألت الدنيا والآخرة!.

وفي الصحيحين عن أنس قال: كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

۞ **الثانية والعشرين:** ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيدًا، وعسى أن تحبوا الدّعة [والراحة] وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تُغلَبون وتُذلّون ويذهب أمركم.

وهذا [الكلام] صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس؛ تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار؛ فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟!. وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته!.

۞ **الثالثة والعشرين:** ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فمن أنفق في سبيل الله ولم يتبعه منًّا ولا أذىً؛ كقوله: ما أشد إلحاحك، وخلَّصنا الله منك، وأمثال هذا؛ فقد تضمن الله له بالأجر ـ والأجر الجنة ـ، ونفى عنه الخوف بعد موته لما يُستقبل، والحزن على ما سلف من دنياه؛ لأنه يغتبط بآخرته؛ فقال: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾. وكفى بهذا فضلًا وشرفًا للنفقة في سبيل الله تعالى.

الرابعة والعشرين: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾.

اعلم أن الذي أمر الله تعالى به من الشهادة والكتابة لمراعاة صلاح ذات البين، ونفي التنازع المؤدي إلى فساد ذات البين؛ لئلا يسوّل له الشيطان جحود الحق وتجاوز ما حد له الشرع، أو ترك الاقتصار على المقدار المستحق؛ ولأجله حرم الشرع [البيوع] المجهولة التي اعتيادها يؤدي إلى الاختلاف وفساد ذات البين، وإيقاع التضاغن والتباين.

فمن ذلك ما حرمه الله من الميسر والقمار وشرب الخمر بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ... ٩١﴾؛ فمن تأدب بأدب الله في أوامره وزواجره حاز صلاح الدنيا والدين. قال الله تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾.

ولما أمر الله تعالى [بالكتابة] والإشهاد وأخذ الرهان كان ذلك نصًا قاطعًا على مراعاة حفظ الأموال وتنمِيتها، وردًا على الجهلة المتصوفة ورعاعها الذين لا يرون ذلك؛ فيخرجون عن جميع أموالهم ولا يتركون كفاية لأنفسهم وعيالهم، ثم إذا احتاج وافتقر عياله؛ فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم، أو أن يأخذ من أرباب الدنيا وظلمتهم؛ وهذا الفعل مذموم منهي عنه.

قال أبو الفرج الجوزي: ولست أعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم؛ إنما أتعجب من أقوام لهم علم وعقل كيف حثّوا على هذا، وأمروا به مع مضادته للشرع والعقل.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

ومنها جمعت هذه الدرر:

﴿ **الأولى**: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم؛ فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء.

وقال في شرف العلم لنبيه - ﷺ - ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه - ﷺ - أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم.

وقال - ﷺ -: «**إن العلماء ورثة الأنبياء**». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة.

وهذا شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم في الدين خطير.

﴿ **الثانية**: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾.

فالواجب على الإنسان أن يتضرع إلى خالقه في هداية ولده وزوجه بالتوفيق لهما والهداية والصلاح والعفاف والرعاية، وأن يكونا معينين له على دينه ودنياه؛ حتى تعظم منفعته بهما في أولاه وأخراه؛ ألا ترى قول

زكريا ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾. وقال ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾. وقال ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

ودعا رسول الله ـ ﷺ ـ لأنس فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه**». رواه البخاري ومسلم.

۞ **الثالثة**: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٦﴾.

في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده؛ فقال ﷻ ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

وقد ورد الأمر بالجدال لمن عَلِم وأيقن؛ فقال تعالى ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

وروي عن النبي ـ ﷺ ـ أنه أتاه رجل أنكر ولده فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلامًا أسود. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**هل لك من إبل؟**». قال نعم. قال: «**ما ألوانها؟**». قال: حُمر. قال «**هل فيها من أورَق؟**». (أي رمادي بين الأسود والأبيض). قال نعم. قال «**فمن أين ذلك؟**». قال: لعل عرقًا نزعه. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**وهذا الغلام لعل عرقًا نزعه**». متفق عليه.

وهذا حقيقة الجدال ونهاية في تبيين الاستدلال من رسول الله ـ ﷺ ـ.

(أي ولدت زوجته غلامًا أسود بينما الأب أبيض. فقال عليه الصلاة والسلام: «**وهذا الغلام لعل عرقًا نزعه**». أي ربما كان من سلالة أجداده ـ من جهة أبيه أو أمه ـ أسود اللون فجاء لونه مثل جده.)

۞ **الرابعة**: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

ليس في هذه الآية تعديل لأهل الكتاب ولا لبعضهم، خلافًا لمن ذهب إلى ذلك؛ لأن فساق المسلمين يوجد فيهم من يؤدي الأمانة ويؤمن على المال الكثير ولا يكونون بذلك عدولًا.

فطريق العدالة والشهادة ليس يجزئ فيه أداء الأمانة في المال من جهة المعاملة والوديعة؛ ألا ترى قولهم (ليس علينا في الأميين سبيل).

فكيف يعدل من يعتقد استباحة أموالنا وحريمنا بغير حرج عليه؟.؛ ولو كان ذلك كافيًا في تعديلهم لسُمِعت شهادتهم على المسلمين.

۞ **الخامسة**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

نهى الله ﷻ المؤمنين ـ بهذه الآية ـ أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم.

وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء.

۞ **السادسة**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

جاء في فضل الرباط أحاديث كثيرة؛ منها ما رواه البخاري عن

سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خير عند الله من الدنيا وما فيها**».

وفي صحيح مسلم عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول:

«**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتّان**». (أمن الفتّان؛ أي لا يسأله الملكان في القبر).

وروى أبو داود في سننه عن فضالة بن عبيد أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«**كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله؛ فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتّان القبر**».

وفي هذه الأحاديث دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت.

والرباط يُضاعفُ أجرُه إلى يوم القيامة؛ لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة.

وهذا لأن أعمال البر كلها لا يُتمكّنُ منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام.

وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة؛ خرَّجه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**من مات مرابطًا في سبيل الله أُجري عليه أجرُ عمله الصالح الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن من الفتّان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع**».

وفي هذا الحديث قيد ثانٍ؛ وهو الموت حالة الرّباط. والله أعلم.

[**القيد الأول**: الرباط في سبيل الله. **القيد الثاني**: الموت أثناء الرباط].

عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة؛ صيامها وقيامها**».

سُورَةُ النِّسَاءِ

وقد جمعت منها هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ إلى قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾.

إن قيل: ما الحكمة في تقديم ذكر الوصية على ذكر الدين، والدين مقدم عليها بإجماع؟.

الجواب من عدة أوجه:

أولًا: لما كانت الوصية أقل لزومًا من الدين قدمها اهتمامًا بها.

ثانيًا: قدمها لكثرة وجودها ووقوعها؛ فصارت كاللازم لكل ميت مع نص الشرع عليها، وأخَّر الدين لشذوذه (أي؛ لندرته)، فإنه قد يكون وقد لا يكون؛ فبدأ بذكر الذي لا بد منه، وعطف بالذي قد يقع أحيانًا.

ثالثًا: إنما قُدّمت الوصية إذ هي حظ مساكين وضعفاء، وأخّر الدَّين إذ هو حظ غريم يطلبه بقوة وسلطان وله فيه مقال.

رابعًا: لما كانت الوصية يُنشئها من قبل نفسه قدمها، والدين ثابت مؤدَّى، ذكره أو لم يذكره.

۞ **الثانية**: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾.

أمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن؛ لتكون أدمة

ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش...

قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إليَّ في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية (الغالية؛ خليط من الطيب؛ كالمسك والعنبر)، فقلت: ما هذا؟. قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليَّ امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منَّا ما نشتهيه منهن.

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين المرأة لي.

الثالثة: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾.

قال الضحاك: بالبينة على المدعي واليمين على من أنكر.

وهذا خطاب للولاة والأمراء والحكّام [والقُضاة]، ويدخل في ذلك بالمعنى جميع الخلق. قال ﷺ:

«إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا».

وقال عليه الصلاة والسلام **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهله وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة عنه، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه؛ ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»**.

فجعل في هذه الأحاديث الصحيحة كل هؤلاء رعاة وحكامًا.

وكذلك العالم الحاكم؛ لأنه إذا أفتى حكم وقضى وفصل بين الحلال والحرام، والفرض والندب، والصحة والفساد؛ فجميع ذلك أمانة تُؤدَّى وحُكمٌ يُقضى.

الرابعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾.

وصف الله تعالى نفسه بأنه سميع بصير يسمع ويرى؛ كما قال تعالى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾. والعقل يدل على ذلك؛ فإن انتفاء السمع والبصر يدل على نقيضيهما من العمى والصمم، إذ المحل القابل للضدين لا يخلو من أحدهما، وهو تعالى مقدس عن النقائص، ويستحيل صدور الأفعال الكاملة من المتّصف بالنقائص؛ كخلق السمع والبصر ممن ليس له سمع ولا بصر.

وأجمعت الأمة على تنزيهه تعالى عن النقائص.

الخامسة: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۝٧٥﴾.

حث على الجهاد؛ وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين؛ الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين؛ فأوجب تعالى الجهاد؛ لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلفُ النفوس.

وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين؛ إما بالقتال وإما بالأموال؛ وذلك أوجب؛ لكونها دون النفوس؛ إذ هي أهون منها.

قال [الإمام] مالك: واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم. وهذا لا خلاف فيه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام «**فكوا العاني**». (أي الأسير). متفق عليه.

۞ **السادسة**: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾.

دلت هذه الآية، وقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾. على وجوب التدبر في القرآن ليُعرف معناه.

فكان في هذا رد على فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبي ﷺ، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد.

۞ **السابعة**: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

إن قال قائل: نحن نرى الكفار في بأس وشدة، وقلتم: إن عسى بمعنى اليقين فأين ذلك الوعد؟. قيل له: قد وجد هذا الوعد ولا يلزم وجوده على الاستمرار والدوام، فمتى وُجِد ولو لحظة مثلًا؛ فقد صدق الوعد؛ فألقى الله في قلوب الأحزاب الرعب وانصرفوا من غير قتل ولا قتال؛ كما قال تعالى ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

وخرج اليهود من ديارهم وأموالهم بغير قتال المؤمنين لهم [مثل بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود خيبر]؛ فهذا كله بأس قد كفه الله عن المؤمنين، وقد دخل من اليهود والنصارى العدد الكثير والجم الغفير تحت الجزية صاغرين وتركوا المحاربة داخرين؛ فكف الله بأسهم عن المؤمنين. والحمد لله رب العالمين.

۞ ۞ ۞

سورة المائدة

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾.

قال ابن خويز منداد في أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه؛ فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه؛ فيعلّمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين (أي متعاونين) كاليد الواحدة. المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ويجب الإعراض عن المتعدي، وترك النصرة له، ورده عما هو عليه.

۞ **الثانية**: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾.

في هذه الآية دليل على أن العالم له من الفضيلة ما ليس للجاهل؛ لأن الكلب إذا عُلّم يكون له فضيلة على سائر الكلاب، فالإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على سائر الناس، لا سيما إذا عمل بما علِم؛ وهذا كما روي عن علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] أنه قال: لكل شيء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه.

۞ **الثالثة**: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

تضمنت هذه الآية البيان عن حال الحاسد؛ حتى إنه قد يحمله حسده على إهلاك نفسه بقتل أقرب الناس إليه قرابة، وأمسّه به رحمًا، وأولاهم بالحنو عليه ودفع الأذية عنه.

۞ **الرابعة**: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

قال ابن عطية: والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين؛ فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه.

وقال حذاق أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليمًا عن معصية؛ بل ينهى العصاة بعضهم بعضًا.

وفي الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين، والأمر بتركهم وهجرانهم.

۞ **الخامسة**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: في هذه الآية ـ وما شابهها والأحاديث الواردة في معناها ـ رد على غلاة المتزهدين، وعلى أهل البطالة من المتصوفين؛ إذ كل فريق منهم قد عدل عن طريقه، وحاد عن تحقيقه.

قال الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه ـ من طيبات المطاعم والملابس والمناكح ـ إذا

خاف على نفسه بإحلال ذلك بها بعض العنت والمشقة؛ ولذلك رد النبي ـ ﷺ ـ التبتل على [عثمان] بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ [عندما أراد ترك النساء والتفرغ للعبادة]؛ فقال له عليه السلام: يا عثمان! أرغبت عن سنتي؟! قال: لا يا رسول الله!. قال: «**إن من سنتي أن أصلّي وأنام، وأصوم وأطعم، وأنكح وأطلق؛ فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني. يا عثمان! إن لأهلك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا**».

فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب عباده إليه، وعمل به رسول الله ـ ﷺ ـ وسنّه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون؛ إذ كان خير الهدي هدي نبينا محمد ـ ﷺ ـ، فإذا كان كذلك؛ تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حله، وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرًا من عارض الحاجة إلى النساء.

[وأضاف الطبري رحمه الله]: فإن ظن ظان أن الخير في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن وأكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة إلى أهل الحاجة فقد ظن خطأ؛ وذلك أن الأولى بالإنسان صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها، ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الرديئة؛ لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببًا إلى طاعته.

وقد جاء رجل إلى الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال: إن لي جارًا لا يأكل الفالوذج (نوع فاخر من أنواع الحلوى] فقال: ولِمَ؟. قال: يقول لا يؤدي شكره؛ فقال الحسن:

أفيشرب الماء البارد؟. فقال: نعم. فقال: إن جارك جاهل؛ فإن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذج.

۞ **السادسة**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾.

تحريم الخمر كان بتدريج ونوازل كثيرة؛ فإنهم كانوا مولعين بشربها، وأول ما نزل في شأنها ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾.

أي: [منافع] في تجارتهم.

فلما نزلت هذه الآية تركها بعض الناس وقالوا: لا حاجة لنا فيما فيه إثم كبير، ولم يتركها بعض الناس، وقالوا: نأخذ منفعتها ونترك إثمها؛ فنزلت هذه الآية ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾.؛ فتركها بعض الناس، وقالوا: لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة، وشربها بعض الناس في غير أوقات الصلاة؛ حتى نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾.؛ فصارت حرامًا عليهم؛ حتى صار يقول بعضهم: ما حرم الله شيئًا أشد من الخمر.

وهذه الآية [أيضًا] تدل على تحريم اللعب بالنرد والشطرنج قمارًا أو غير قمار؛ لأن الله تعالى لما حرم الخمر أخبر بالمعنى الذي فيها فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ... ٩٠﴾. ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ... ٩١﴾.

فكل لهو دعا قليله إلى كثير، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصد عن ذكر الله وعن الصلاة؛ فهو كشرب الخمر، وأوجب أن يكون حرامًا مثله.

فإن قيل: إن شرب الخمر يورث السكر فلا يُقدر معه على الصلاة، وليس في اللعب بالنرد والشطرنج هذا المعنى. قيل له: قد جمع الله تعالى بين الخمر والميسر في التحريم، ووصفهما جميعًا بأنهما يوقعان العداوة والبغضاء بين الناس، ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة؛ ومعلوم أن الخمر إن أسكرت فالميسر لا يُسكر، ثم لم يكن عند الله افتراقهما في ذلك يمنع من التسوية بينهما في التحريم لأجل ما اشتركا فيه من المعاني، وأيضًا فإن قليل الخمر لا يسكر كما أن اللعب بالنرد والشطرنج لا يُسكر، ثم كان حرامًا مثل الكثير، فلا يُنكر أن يكون اللعب بالنرد والشطرنج حرامًا مثل الخمر وإن كان لا يسكر.

وأيضا فإن ابتداء اللعب يورث الغفلة؛ فتقوم تلك الغفلة المستولية على القلب مكان السكر؛ فإن كانت الخمر إنما حرمت لأنها تُسكِر فتصد بالإسكار عن الصلاة، فليُحرم اللعب بالنرد والشطرنج؛ لأنه يُغفِل ويلهي؛ فيصد بذلك عن الصلاة. والله أعلم.

سُورَةُ الأَنْعَامِ

ومنها جمعتُ هذه الدرر:

۞ **الأولى**: [بين يدي السورة].

قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجَّة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور؛ وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة؛ وعليها بنى المتكلمون أصول الدين؛ لأن فيها آيات بينات ترد على القدرية دون السور التي ستُذكر والمذكورات، وسنزيد ذلك بيانًا ـ إن شاء الله ـ بحول الله تعالى.

۞ **الثانية**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.؛ أخبر عن قدرته وعلمه وإرادته؛ فقال: الذي خلق؛ أي: اخترع وأوجد وأنشأ وابتدع؛ وذلك دليل على حدوثهما؛ فرفع السماء بغير عمد، وجعلها مستوية، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين، وزينها بالنجوم، وأودعها السحاب والغيوم علامتين، وبسط الأرض وأودعها الأرزاق والنبات، وبث فيها من كل دابة آيات، وجعل فيها الجبال أوتادًا، وسبلًا فجاجًا، وأجرى فيها الأنهار والبحار، وفجَّر فيها العيون من الأحجار؛ دلالات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وأنه هو الله الواحد القهار، وبيَّن بخلقه السماوات والأرض أنه خالق كل شيء.

۞ **الثالثة**: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾.

أي: قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين المستسخرين المكذبين: سافروا في الأرض فانظروا واستخبروا لتعرفوا ما حل بالكفرة قبلكم من العقاب وأليم العذاب. وهذا السفر مندوب إليه إذا كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم، وأهل الديار، والعاقبة آخر الأمر.

۞ **الرابعة**: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾.

إذا ثبت أن له ما في السماوات والأرض وأنه خالق الكل ـ إما باعترافهم أو بقيام الحجة عليهم ـ فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ويبعثهم بعد الموت؛ ولكنه كتب على نفسه الرحمة؛ أي: وعد بها فضلًا منه وكرمًا؛ فلذلك أمهل.

ومعنى الكلام الاستعطاف منه تعالى للمتولّين عنه إلى الإقبال إليه، وإخبار منه سبحانه بأنه رحيم بعباده لا يَعْجَل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة.

في صحيح مسلم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده: إن رحمتي تغلب غضبي**».

۞ **الخامسة**: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

والمعنى: [يا أيها الرسول قل لقومك] اثبتوا على ما أنتم عليه فأنا أثبت على ما أنا عليه [من الدين الحق].

فإن قيل: كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار؟. فالجواب أن هذا تهديد؛ كما قال ﷻ ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾. ودل عليه ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾.

أي العاقبة المحمودة التي يُحمدُ صاحبُها عليها؛ أي من له النصر في دار الإسلام، ومن له وراثة الأرض، ومن له الدار الآخرة؛ أي الجنة.

۞ **السادسة**: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾.

في الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلم قول من خالفه وإن لم يأخذ به؛ حتى يعرف فساد قوله، ويعلم كيف يرد عليه؛ لأن الله تعالى أعلم النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه قول من خالفهم من أهل زمانهم؛ ليعرفوا فساد قولهم.

۞ **السابعة**: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

أي بما فيه صلاحه وتثميره؛ وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه. وهذا أحسن الأقوال في هذا؛ فإنه جامع.

قال مجاهد: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن؛ بالتجارة فيه، ولا تشترِ منه ولا تستقرض.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾. يعني قوَّته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين؛ فإن الأشد وقعت هنا مطلقة، وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة النساء مقيدة؛ فقال:

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ (**وابتلوا**؛ أي اختبروا وجرّبوا)؛ فجمع بين قوة البدن وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة وهو إيناس الرشد؛ فلو مُكّن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوة؛ لأذهبه في شهوته، وبقي صعلوكًا لا مال له.

وخص [الله] اليتيم بهذا الشرط؛ لغفلة الناس عنه، وافتقاد الأبناء لآبائهم؛ فكان الاهتبال بفقيد الأب أولى. وليس بلوغ الأشد مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن؛ لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة. وخص اليتيم بالذكر لأن خصمه الله.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى:** ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾.

لأقعدن لهم صراطك المستقيم؛ أي بالصد عنه، وتزيين الباطل؛ حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلّوا كما ضل، أو يخيبوا كما خيب.

۞ **الثانية:** ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾.

وهو يكون في السلعة بالتعييب والتزهيد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزيد في الكيل والنقصان منه؛ وكل ذلك من أكل المال بالباطل؛ وذلك منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على ألسنة الرسل ـ صلوات الله وسلامه على جميعهم ـ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

۞ **الثالثة:** ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

قال السدي: كانوا عشّارين (أي يأخذون الضرائب من الناس؛ حيث يأخذون العُشر من البضاعة؛ فاشتهروا بالعشّارين؛ أي الذين يأخذون عُشر البضاعة ضريبة).

ومثلهم اليوم هؤلاء المكَّاسون الذين يأخذون ما لا يلزمهم شرعًا من الوظائف المالية بالقهر والجبر... وهو من أعظم الذنوب وأكبرها وأفحشها؛ فإنه غصب وظلم وعسف على الناس، وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له.

الرابعة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

هذه الآية من ثلاث كلمات؛ تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

فقوله ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾؛ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

ودخل في قوله ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾؛ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾؛ الحث على التعلّق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة.

سُورَةُ الأَنفَالِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾.

وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره؛ وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه.

ونظير هذه الآية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

۞ **الثانية**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

فإذا اتقى العبد ربه ـ وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه ـ وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفَّظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال؛ جعل له بين الحق والباطل فرقانًا، ورزقه فيما يريد من الخير إمكانًا.

۞ **الثالثة**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم؛ فإن القلب لا يسكن عند اللقاء

ويضطرب اللسان؛ فأمر بالذكر؛ حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر. ويقول ما قاله أصحاب طالوت ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾؛ وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتّقاد البصيرة؛ وهي الشجاعة المحمودة في الناس.

۞ **الرابعة**: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾.

أمر بالصبر؛ وهو محمود في كل المواطن، وخاصة موطن الحرب.

۞ **الخامسة**: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾.

يعني أبا جهل وأصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير؛ خرجوا بالمغنيّات والمعازف، فلما وردوا الجحفة؛ بعث خفاف الكناني ـ وكان صديقًا لأبي جهل ـ بهدايا إليه مع ابن له، وقال: إن شئت أمددتك بالرجال، وإن شئت أمددتك بنفسي مع من خَفّ من قومي. فقال أبو جهل: إن كنا نقاتل الله كما يزعم محمد، فوالله ما لنا بالله من طاقة، وإن كنا نقاتل الناس فوالله إن بنا على الناس لقوة. والله لا نرجع عن قتال محمد؛ حتى نَرِد بدرًا؛ فنشرب فيها الخمور، وتعزف علينا القِيان؛ فإن بدرًا موسم من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم؛ حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا آخر الأبد. فوردوا بدرًا؛ ولكن جرى ما جرى من هلاكهم. ﴿بَطَرٗا﴾؛ أي خرجوا بطرين مرائين صادّين.

◈ **الســادســة**: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

والمعنى: وإما تخافن خيانة من قوم بينك وبينهم عهد فانبذ إليهم العهد؛ أي قل لهم قد نبذت إليكم عهدكم، وأنا مقاتلكم؛ ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك؛ فيكون ذلك خيانة وغدرًا. ثم بين هذا بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

◈ **السابعة**: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكَد تقدِمَة التقوى؛ فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة من تراب؛ كما فعل رسول الله ـ ﷺ ـ [في غزوة حنين حينما رمى الكفار بحفنة من التراب في وجوههم؛ قائلًا: شاهت الوجوه؛ فلم تترك هذه الحفنة كافرًا إلا أصابته في وجهه]. ولكنه أراد أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ.

إن قيل: إن قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة كان يكفي، فلم خص الرمي والخيل بالذكر؟.

قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب التي عُقِد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة وحصون الفرسان، وبها [الصولة والجولة] في الميدان؛ خصها بالذكر تشريفًا، وأقسم بغبارها تكريمًا؛ فقال ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾.

ولما كانت السهام من [أنفع] ما يتعاطى في الحروب والنكاية في

العدو وأقربها تناولًا للأرواح؛ خصها رسول الله ـ ﷺ ـ بالذكر لها والتنبيه عليها.

ونظير هذا في التنزيل ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾. ومثله كثير. [فذكر الله الملائكة عمومًا، ثم خص بالذكر جبريل وميكال].

۞ **الثامنة**: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾.

إن كان للمسلمين مصلحة في الصلح؛ لنفع يجتلبونه، أو ضرر يدفعونه، فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه.

وقد صالح رسول الله ـ ﷺ ـ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وقد صالح الضمري وأكيدر دومة الجندل وأهل نجران، وقد هادن قريشًا لعشرة أعوام؛ حتى نقضوا عهده. وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل.

۞ **التاسعة**: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

وألف بين قلوبهم؛ أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج.

وكان تألّف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ـ ﷺ ـ ومعجزاته؛ لأن أحدهم كان يُلطمُ اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وكانوا أشد خلق الله حمية؛ فألف الله ـ بالإيمان ـ بينهم؛ حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين.

وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار. والمعنى متقارب.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

الأولى: [سبب سقوط البسملة من هذه السورة].

اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أول هذه السورة على أقوال خمسة؛ [منها]:

قيل: كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فإذا أرادوا نقضه؛ كتبوا إليهم كتابًا ولم يكتبوا فيه بسملة؛ فلما نزلت سورة **(براءة)** بنقض العهد الذي كان بين النبي - ﷺ - والمشركين بعث بها النبي - ﷺ - علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] فقرأها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة.

الثانية: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ①﴾.

يعني إلى الذين عاهدهم رسول الله - ﷺ -؛ لأنه كان المتولي للعقود، وأصحابه بذلك كلهم راضون فكأنهم عاقدوا وعاهدوا؛ فنسب العقد إليهم.

وكذلك ما عقده أئمة الكفر على قومهم؛ منسوب إليهم، محسوب عليهم، يُؤاخذون به، إذ لا يمكن غير ذلك؛ فإن تحصيل الرضا من الجميع متعذّر، فإذا عقد الإمام لما يراه من المصلحة أمرًا لزم جميع الرعايا.

۞ **الثالثة**: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾.

استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في الدين؛ إذ هو كافر.

والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين؛ لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه.

۞ **الرابعة**: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾.

قال ابن العربي: قالت الإمامية: حزن أبي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه.

وأجاب علماؤنا عن ذلك: بأن إضافة الحزن إليه ليس بنقص؛ كما لم ينقص إبراهيم حين قال عنه ﴿نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾. ولم ينقص موسى قوله ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ﴾. وفي لوط ﴿وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾.

فهؤلاء العظماء ـ صلوات الله عليهم ـ قد وُجد عندهم [الخوف والحزن] ولم يكن ذلك طعنًا عليهم ووصفا لهم بالنقص؛ وكذلك في أبي بكر.

إن حزن الصديق إنما كان خوفًا على النبي ـ ﷺ ـ أن يصل إليه ضرر، ولم يكن النبي ـ ﷺ ـ في ذلك الوقت معصومًا [من قتل الكفار له] وإنما نزل عليه ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ بالمدينة.

۞ **الخامسة**: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٣﴾.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت في الجد بن قيس؛ إذ قال [للنبي ﷺ] ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به.

قال الإمام القرطبي عن معنى الآية: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين فلن يُقبل منكم؛ ثم بين جل وعز لِمَ لا يقبل منهم؛ فقال ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾. فكان في هذا أدل دليل على أن أفعال الكافر إذا كانت بِرًّا؛ كصلة القرابة وجبر الكسير وإغاثة الملهوف لا يُثاب عليها، ولا ينتفع بها في الآخرة.

دليله ما رواه مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت قلت يا رسول الله، [عبد الله] بن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟. قال: «**لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**».

۞ **السادسة**: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١٠٣﴾.

هذا نص صريح في أن الله تعالى هو الآخذ لها والمثيب، عليها وأن الحق له جل وعز، والنبي ـ ﷺ ـ واسطة، فإن توفّي فعامله هو الواسطة بعده، والله ﷻ حي لا يموت.

۞ **السابعة**: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٩﴾.

في هذه الآية دليل على أن كل شيء ابتُدِئ بنية تقوى الله تعالى

والقصد لوجهه الكريم فهو الذي يبقى ويسعد به صاحبه ويصعد إلى الله ويرفع إليه.

۞ **الثامنة**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع؛ فاشترى الله سبحانه من العباد؛ إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته؛ وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك؛ وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوَّض ولا يقاس به؛ فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشراء، فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الثواب والنوال؛ فسُمّي هذا شراءً.

۞ **التاسعة**: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

ففي هذا أدل دليل على أن المعاصي إذا ارتُكِبت وانتُهِك حجابُها؛ كانت سببًا إلى الضلالة والردى، وسلَّمًا إلى ترك الرشاد والهدى. نسأل الله السداد والتوفيق والرشاد بمنه.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ يُونُسَ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾.

الحكيم: المُحكَم بالحلال والحرام والحدود والأحكام.

وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم؛ أي إنه حاكم بالحلال والحرام، وحاكم بين الناس بالحق.

وقيل: الحكيم بمعنى المحكوم فيه؛ أي حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه، وبالنار لمن عصاه.

وقال مقاتل: الحكيم بمعنى المحكم من الباطل؛ لا كذب فيه ولا اختلاف.

۞ **الثانية**: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥﴾.

قوله تعالى ما خلق الله ذلك إلا بالحق؛ أي ما أراد الله ﷻ بخلق ذلك إلا الحكمة والصواب، وإظهارًا لصنعته وحكمته، ودلالة على قدرته وعلمه، ولتُجزى كل نفس بما كسبت؛ فهذا هو الحق.

۞ **الثالثة**: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قوله تعالى ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ ظرف؛ أي مقدارًا من الزمان ـ وهو أربعون سنة ـ من قبله؛ أي من قبل القرآن؛ تعرفونني بالصدق والأمانة، لا أقرأ ولا أكتب، ثم جئتكم بالمعجزات. أفلا تعقلون أن هذا لا يكون إلا من عند الله لا من قِبَلِي.

۞ **الرابعة**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

أي دعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون.

وفي هذا دليل على أن الخلق جُبِلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يُجاب دعاؤه، وإن كان كافرًا؛ لانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحد رب الأرباب.

۞ **الخامسة**: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

لا خوف عليهم؛ أي في الآخرة، ولا هم يحزنون لفقد الدنيا.

وقيل: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ أي من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن.

وقيل: لا خوف عليهم في ذريتهم؛ لأن الله يتولاهم، ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله إياهم في أولاهم وأخراهم؛ لأنه وليهم ومولاهم.

۞ **السـادسـة**: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾.

وهذا إخبار من الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام أنه كان بنصر الله واثقًا، ومن كيدهم غير خائف؛ علمًا منه بأنهم وآلهتهم لا ينفعون ولا يضرُّون. وهو [تسلية] لنبيه ـ ﷺ ـ وتقوية لقلبه.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ هُودٍ

وقد جمعت منها هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

يمتعكم متاعًا حسنًا؛ هذه ثمرة الاستغفار والتوبة؛ أي يمتعكم بالمنافع، ثم سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم.

۞ **الثانية**: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾.

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك؛ أي فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه.

وقال ﴿ضَائِقٌ﴾ ولم يقل ضيق ليشاكل ﴿تَارِكٌ﴾ الذي قبله؛ ولأن الضائق عارض، والضيق ألزم منه.

۞ **الثالثة**: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قال النحاس: الأراذل هم الفقراء، والذين لا حسب لهم، والخسيسو الصناعات.

وفي الحديث أنهم كانوا حاكة وحجامين. وكان هذا جهلًا منهم؛ لأنهم عابوا نبي الله ـ ﷺ ـ بما لا عيب فيه؛ لأن الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ إنما عليهم أن يأتوا بالبراهين والآيات، وليس عليهم تغيير الصور والهيئات، وهم يُرسَلون إلى الناس جميعًا، فإذا أسلم منهم الدنيء لم يلحقهم من ذلك نقصان؛ لأن عليهم أن يقبلوا إسلام كل من أسلم منهم.

قال علماؤنا: إنما كان ذلك لاستيلاء الرياسة على الأشراف، وصعوبة الانفكاك عنها، والأنفة من الانقياد للغير؛ والفقير خلي عن تلك الموانع؛ فهو سريع إلى الإجابة والانقياد. وهذا غالب أحوال أهل الدنيا.

۞ **الرابعة**: ﴿مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾.

فكيدوني جميعًا؛ أي أنتم وأوثانكم في عداوتي وضري.

ثم لا تنظرون؛ أي لا تؤخرون.

وهذا القول [من هود] ـ مع كثرة الأعداء ـ يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى. وهو من أعلام النبوة؛ أن يكون الرسول وحده يقول لقومه ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾.

وكذلك قال النبي ـ ﷺ ـ لقريش. وقال نوح ـ ﷺ ـ ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ...﴾.

۞ **الخامسة**: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ﴾.

كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف؛ كانوا إذا جاءهم البائع

بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا؛ وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص، وشحّوا له بغاية ما يقدرون؛ فأُمِرُوا بالإيمان إقلاعًا عن الشرك، وبالوفاء نهيًا عن التطفيف.

۞ **السادسة**: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

ذكر الله سبحانه في كتابه الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها وأسمائها؛ فقال ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. وقال ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾. وقال ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾. وقال ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾. وقال ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾. وقال ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ وقال ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ وقال ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾. وهذا كله مجمل أجمله [الله] في كتابه، وأحال على نبيه في بيانه؛ فقال جل ذكره:

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾؛ فبين - ﷺ - مواقيت الصلاة، وعدد الركعات والسجدات، وصفة جميع الصلوات فرضها وسننها، وما لا تصح الصلاة إلا به من الفرائض وما يستحب فيها من السنن والفضائل؛ فقال في صحيح البخاري:

«**صلوا كما رأيتموني أصلي**». ونقل ذلك عنه الكافَّة عن الكافَّة، على ما هو معلوم، ولم يمت النبي - ﷺ - حتى بين جميع ما بالناس الحاجة إليه؛ فكمل الدين، وأوضح السبيل؛ قال الله تعالى ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

سُورَةُ يُوسُفَ

ومنها جمعتُ هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾.

[سميت هذه السورة أحسن القصص]؛ فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة؛ وبيانه قوله في آخرها ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم ـ بعد الالتقاء بهم ـ عن ذكر ما تعاطوه، وكرمه في العفو عنهم؛ حتى قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز؛ قيل: والملك أيضًا أسلم بيوسف وحسُنَ إسلامُه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال؛ فما كان أمر الجميع إلا إلى خير.

۞ **الثانية:** ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾.

هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.

وفي هذه الآية [أيضًا] دليل على أن مباحًا أن يحذّر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلًا في معنى الغيبة؛ لأن يعقوب ـ عليه السلام ـ قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيدًا، وفيها أيضًا ما يدل على جواز ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته (أي شره) حسدًا وكيدًا.

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمةٍ محسود**».

وفيها أيضًا دليل واضح على معرفة يعقوب ـ عليه السلام ـ بتأويل الرؤيا؛ فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه؛ فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه.

ويدل أيضًا على أن يعقوب ـ عليه السلام ـ كان أحسَّ من بنيه حسد يوسف وبغضه؛ فنهاه عن [أن يقص] الرؤيا عليهم؛ خوف أن تغل بذلك صدورهم؛ فيُعمِلوا الحيلة في هلاكه.

۞ **الثالثة:** ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

إن أبانا لفي ضلال مبين لم يريدوا ضلال الدين، إذ لو أرادوه لكانوا كفارا؛ بل أرادوا لفي ذهاب عن وجه التدبير، في إيثار اثنين على

عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه. وقيل: لفي خطأ بيّن بإيثاره يوسف وأخاه علينا.

۞ **الرابعة**: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾.

قال علماؤنا: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنُّعًا؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وقد قيل: إن الدمع المصنوع لا يخفى؛ كما قال حكيم:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

۞ **الخامسة**: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم:

لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها، وهي سلامة القميص من التنييب؛ إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص من التخريق؛ ولما تأمل يعقوب ـ عليه السلام ـ القميص فلم يجد فيه خرقًا ولا أثرًا؛ استدل بذلك على كذبهم، وقال لهم: متى كان هذا الذئب حكيمًا يأكل يوسف ولا يخرق القميص؟!.

(**التنييب**؛ أي سلامة قميص يوسف من أنياب الذئب).

۞ **السادسة**: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾.

قالت الحكماء في هذه الآية: والله غالب على أمره حيث أمره

يعقوب ألا يقص رؤياه على إخوته؛ فغلب أمر الله حتى قص، ثم أراد إخوته قتله؛ فغلب أمر الله حتى صار ملكًا وسجدوا بين يديه، ثم أراد الإخوة أن يخلو لهم وجه أبيهم؛ فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم...

ثم تدبَّروا أن يكونوا من بعده قومًا صالحين؛ أي تائبين؛ فغلب أمر الله حتى نسوا الذنب وأصروا عليه حتى أقرُّوا بين يدي يوسف في آخر الأمر، وقالوا لأبيهم ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾، ثم أرادوا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص؛ فغلب أمر الله فلم ينخدع، وقال ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، ثم احتالوا في أن تزول محبته من قلب أبيهم فغلب أمر الله فازدادت المحبة والشوق في قلبه، ثم دبَّرت امرأة العزيز أنها إن ابتدرته [وابتدأته] بالكلام غلبته، فغلب أمر الله حتى قال العزيز ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾، ثم دبَّر يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي؛ فغلب أمر الله فنسي الساقي، ولبث يوسف في السجن بضع سنين.

السابعة: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية؛ التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال؛ فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئًا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة؛ ولا خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية؛ ليحصل لهم التمكُّن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضل من الله ـ ﷻ ـ

ورحمة رحم بها عباده، من غير وجوب عليه، ولا استحقاق؛ هذا مذهب كافة المحققين من أهل السنة أجمعين؛ وبسطه في أصول الفقه.

الثامنة: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾.

دلت الآية على جواز أن يخطب [ويطلب] الإنسان عملًا يكون له أهلًا؛ فإن قيل: فقد روى مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ: «**يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة؛ وُكِلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة؛ أُعنت عليها**».

وعن أبي بردة قال: قال أبو موسى: أقبلت إلى النبي ـ ﷺ ـ ومعي رجلان من الأشعريين ـ أحدهما عن يميني والآخر عن يساري ـ فكلاهما سأل العمل، والنبي ـ ﷺ ـ يستاك، فقال:

«**ما تقول يا أبا موسى ـ أو يا عبد الله بن قيس؟**». قال قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل... فقال: «**لا نستعمل على عملنا من أراده**». خرجه مسلم أيضًا وغيره؛ فالجواب:

أولًا: أن يوسف ـ عليه السلام ـ إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم؛ فرأى أن ذلك فرض متعيَّن عليه فإنه لم يكن هناك غيره، وهكذا الحكم اليوم؛ لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعيُّن ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك، كما قال يوسف ـ عليه السلام ـ.

فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب؛ لقوله ـ عليه السلام ـ لعبد الرحمن: «**لا تسأل الإمارة**».

وأيضًا فإن في سؤالها والحرص عليها ـ مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها ـ دليلًا على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك؛ وهذا معنى قوله ـ عليه السلام ـ: «**وُكّل إليها**».

ومن أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها فر منها، ثم إن ابتلي بها فيرجى له التخلص منها؛ وهو معنى قوله «**أُعين عليها**».

الثاني: أنه [يوسف] لم يقل: إني حسيب كريم، وإن كان كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**»، ولا قال: إني جميل مليح؛ إنما قال ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾؛ فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾.

الرابع: أنه رأى ذلك فرضًا متعيّنًا عليه؛ لأنه لم يكن هنالك غيره، وهو الأظهر، والله أعلم.

التاسعة: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

أي ما نعطيه في الآخرة خير وأكثر مما أعطيناه في الدنيا؛ لأن أجر الآخرة دائم، وأجر الدنيا ينقطع؛ وظاهر الآية العموم في كل مؤمن متقٍ.

۞ **العاشرة:** ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾.

[في الآية عدة مسائل]:

الأولى: لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين؛ فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد ـ وكانت مصر لها أربعة أبواب ـ وإنما خاف عليهم العين؛ لكونهم أحد عشر رجلًا لرجل واحد؛ وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة.

الثانية: إذا كان هذا معنى الآية؛ فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق؛ وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القِدر**».

وفي تعوذه ـ عليه السلام ـ: «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لامة**». ما يدل على ذلك.

وروى مالك، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخزار فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر، قال: وكان سهل رجلًا أبيض حسن الجلد قال: فقال له عامر بن ربيعة:

ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء! فوعك [أي مرض] سهلٌ مكانه واشتد وعكه، فأُتي رسول الله ـ ﷺ ـ فأُخبر أن سهلًا وعك، وأنه غير رائح معك يا رسول الله؛ فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر؛ فقال رسول الله ﷺ: «**علام يقتل أحدكم أخاه! ألا برَّكت إن العين حق، توضأ له**». فتوضأ عامر، فراح سهل مع رسول الله ـ ﷺ ـ ليس به بأس.

وقد أنكرت [العين] طوائف من المبتدعة، وهم محجوجون بالسنة وإجماع علماء هذه الأمة، وبما يشاهد من ذلك في الوجود؛ فكم من رجل أدخلته العين القبر، وكم من جمل ظهير أدخلته القِدر، لكن ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

الثالثة: واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يبرّك؛ فإنه إذا دعا بالبركة صُرف المحذور لا محالة؛ ألا ترى قوله ـ عليه السلام ـ لعامر: «**ألا برَّكت**»؛ فدل على أن العين لا تضر ولا تعدو إذا برَّك العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يبرّك.

والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين! اللهم بارك فيه.

الرابعة: العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال، ويُجبر على ذلك إن أباه؛ لأن الأمر على الوجوب، لا سيما هذا؛ فإنه قد يُخاف على المعيَّن الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه وكان الجاني عليه.

قال علماؤنا: إنما يُسترقى من العين إذا لم يُعرَف العائنُ؛ وأما إذا عُرِف الذي أصابه بعينه؛ فإنه يؤمر بالوضوء.

۞ **الحادية عشرة:** ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾.

دلت هذه الآية على أن المسلم يجب عليه أن يحذّر أخاه مما يخاف عليه، ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة والنجاة؛ فإن الدين النصيحة، والمسلم أخو المسلم.

۞ **الثانية عشرة:** ﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١﴾.

تضمنت هذه الآية جواز الشهادة بأي وجه حصل العلم بها؛ فإن الشهادة مرتبطة بالعلم عقلًا وشرعًا، فلا تُسمع إلا ممن علم، ولا تُقبل إلا منهم؛ وهذا هو الأصل في الشهادات؛ ولهذا قال أصحابنا:

شهادة الأعمى جائزة، وشهادة المستمع جائزة، وشهادة الأخرس ـ إذا فُهمت إشارته ـ جائزة؛ وكذلك الشهادة على الخط ـ إذا تيقن أنه خطه أو خط فلان ـ صحيحة؛ فكل من حصل له العلم بشيء جاز أن يشهد به، وإن لم يُشهِدْه المشهود عليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير الشهداء؛ خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها**». رواه مسلم.

۞ **الثالثة عشرة:** ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢﴾.

في هذه الآية من الفقه أن كل من كان على حق، وعلم أنه قد يُظن به أنه على خلاف ما هو عليه أو يُتوهم؛ أن يرفع التهمة وكل ريبة عن نفسه، ويصرح بالحق الذي هو عليه؛ حتى لا يبقى لأحد متكلم؛ وقد فعل هذا نبينا محمد ـ ﷺ ـ بقوله للرجلين اللذين مرا وهو قد خرج مع صفية يقلبها من المسجد: «**على رسلِكما؛ إنما هي صفية بنت حيي**». فقالا: سبحان الله وكبُرَ عليهما فقال النبي ـ ﷺ ـ:

«**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**» متفق عليه.

(**يقلبها من المسجد**؛ أي يردها الرسول ـ ﷺ ـ إلى بيتها؛ لأنها زارته ليلًا إلى المسجد وهو معتكِف).

[الرسول ـ ﷺ ـ قال لهذين الصحابيين إن المرأة التي بجانبه هي زوجته صفية وليست امرأة أخرى؛ حتى لا يوسوس الشيطان لهما أن الرسول ﷺ برفقة امرأة أخرى؛ وهذا مما ينبغي على الواحد منا أن يُبعِد نفسه عن موطن الشبهة].

۞ **الرابعة عشرة:** ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾.

الواجب على كل مسلم إذا أصيب بمكروه في نفسه أو ولده أو ماله أن يتلقى ذلك بالصبر الجميل، والرضا والتسليم لمجريه عليه ـ وهو العليم الحكيم ـ، ويقتدي بنبي الله يعقوب وسائر النبيين ـ صلوات الله عليهم أجمعين.

۞ **الخامسة عشرة:** ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر؛ أي الجوع؛ بل واجب عليه إذا خاف على نفسه الضر من الفقر وغيره أن يبدي حالته إلى من يرجو منه النفع؛ كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه؛ ولا يكون ذلك قدحًا في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخُّط؛ والصبر والتجلد في النوائب أحسن، والتعفف عن المسألة أفضل؛ وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى؛ وذلك قول يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾؛ أي من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائدته على عباده.

سُورَةُ الرَّعْدِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولـــى**: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

[أي؛ أراضٍ تجاوِر بعضها بعضًا]؛ ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والتَّمر؛ فيكون البعض حلوًا، والبعض حامضًا؛ والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والمطعم، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد؛ وفي هذا أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته، والإرشاد لمن ضل عن معرفته؛ فإنه نبه سبحانه بقوله ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته؛ وهذا أدل دليل على بطلان القول بالطبع؛ إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف [في اللون والطعم والحجم..].

۞ **الثانية**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير، إما منهم، أو ممن هو منهم بسبب؛ كما غير الله بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة بأنفسهم، إلى غير هذا من أمثلة الشريعة؛ فليس

معنى الآية أنه ليس ينزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب، بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير؛ كما قال ـ ﷺ ـ وقد سُئِل أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**». والله أعلم

۞ **الثالثة**: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

ضرب [الله] مثلًا للحق والباطل؛ فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتدفعه الرياح؛ فكذلك يذهب الكفر ويضمَحِل. (**يضمحل**؛ أي يتلاشى ويتفرَّق).

كذلك ما يوقد عليه في النار من الجوهر ومن الذهب والفضة مما ينبث في الأرض من المعادن فقد خالطه التراب؛ فإنما يوقد عليه ليذوب فيزايله تراب الأرض [ويبتعد عنه].

إن المثلين ضربهما الله للحق في ثباته، والباطل في اضمحلاله، فالباطل وإن علا في بعض الأحوال؛ فإنه يضمحل كاضمحلال الزبد والخبث.

۞ **الرابعة**: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

هذه الآية تدل على الترغيب في النكاح والحض عليه، وتنهى عن التبتل ـ وهو ترك النكاح ـ وهذه سنة المرسلين كما نصت عليه هذه الآية، والسنة واردة بمعناها؛ قال ـ ﷺ ـ: «**تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم**».

وقال «**إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الثاني**».

ومعنى ذلك أن النكاح يعف عن الزنى، والعفاف أحد الخصلتين اللتين ضمن رسول الله ـ ﷺ ـ عليهما الجنة فقال: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**».

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

ومنها جمعت هذه الدرر:

الأولى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

أي يأتيه أسباب الموت من كل جهة عن يمينه وشماله، ومن فوقه وتحته ومن قدامه وخلفه؛ كقوله ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

وقيل: إنه لا يبقى عضو من أعضائه إلا وُكِل به نوع من العذاب؛ لو مات سبعين مرة لكان أهون عليه من نوع منها في فرد لحظة؛ إما حية تنهشه، أو عقرب [تلدغه]، أو نار تسفعه، أو قيد برجليه، أو غل (طوق من حديد) في عنقه، أو سلسلة يقرن (يُقيَّد) بها، أو تابوت يكون فيه، أو زقوم أو حميم، أو غير ذلك من العذاب.

الثانية: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾.

ضرب الله هذه الآية مثلًا لأعمال الكفار في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف. والعصف شدة الريح؛ وإنما كان ذلك لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى.

۞ **الثالثة**: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

نعم الله لا تحصوها ولا تطيقوا عدَّها، ولا تقوموا بحصرها لكثرتها، كالسمع والبصر وتقويم الصُّور إلى غير ذلك من العافية والرزق؛ نعم لا تحصى وهذه النعم من الله، فلِمَ تبدلون نعمة الله بالكفر؟! وهلَّا استعنتم بها على الطاعة؟!

۞ **الرابعة**: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾.

مسألة: لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا في طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتّكالًا على العزيز الرحيم، واقتداء بفعل إبراهيم الخليل...؛ فإن إبراهيم فعل ذلك بأمر الله؛ لقول [زوجته هاجر] في الحديث: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم.

وقد روي أن سارة لما غارت من هاجر ـ بعد أن ولدت إسماعيل ـ خرج بها إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى مكة، فروي أنه ركب البراق هو وهاجر والطفل فجاء في يوم واحد من الشام إلى بطن مكة، وترك ابنه [وهاجر] هنالك وركب منصرفًا من يومه، فكان ذلك كله بوحي من الله تعالى، فلما ولَّى دعا بضمن هذه الآية.

۞ **الخامسة**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾.

وهذا تسلية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن [تعجَّب واستغرب] من أفعال المشركين ومخالفتهم دين إبراهيم؛ أي اصبر كما صبر إبراهيم، وأعلِم

المشركين أن تأخير العذاب ليس للرضا بأفعالهم؛ بل سنة الله إمهال العصاة مُدَّة.

۞ **السادسة**: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع.

مقنعي رؤوسهم؛ أي رافعي رؤوسهم ينظرون في ذل. وإقناع الرأس رفعه.

لا يرتد إليهم طرفهم؛ أي لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر فهي شاخصة النظر.

وأفئدتهم هواء؛ أي لا تُغنِي شيئًا من شدة الخوف.

۞ **السابعة**: ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾.

والمعنى في الآية؛ أن الله سبحانه سريع الحساب؛ لا يحتاج إلى عد ولا إلى عقد ولا إلى إعمال فكر كما يفعله الحُسَّاب؛ ولهذا قال ـ وقوله الحق ـ ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

فالله ـ جل وعز ـ عالم بما للعباد وعليهم فلا يحتاج إلى تذكر وتأمل؛ إذ قد علم ما للمحاسَب وعليه؛ لأن الفائدة في الحساب علم حقيقته.

ومعنى الحساب: تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه؛ بدليل قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

سورة الحجر

ومنها جمعت هاتين الدرّتين:

۞ **الأولى**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.

كان للمأمون ـ وهو أمير إذ ذاك ـ مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، فلما تقوَّض المجلس (أي تفرق وانصرف من كان بالمجلس) دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم. قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع، ووعده. فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف. فلما كان بعد سنة [جاء إلى مجلس المأمون وقد أصبح] مسلمًا، فتكلم على الفقه فأحسن الكلام؛ فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ (أي قبل سنة) قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت تراني حسن الخط؛ فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصّت، وأدخلتها الكنيسة فاشتُرِيَت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتُرِيَت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الورَّاقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان [تركوها] فلم يشتروها؛ فعلمت أن هذا كتاب محفوظ؛ فكان هذا سبب إسلامي.

۞ **الثانية**: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

الآية بعمومها تدل على سؤال الجميع ومحاسبتهم كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب...**» الحديث.

فإن قيل: وهل يُسأل الكافر ويُحاسب؟

الذي يظهر سؤاله للآية وقوله ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وقوله ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾. فإن قيل فقد قال ـ تعالى ـ ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ وقال ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ وقال ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ وقال ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾؛ قلنا: القيامة مواطن، فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك فيه.

قال عكرمة: القيامة مواطن يُسأل في بعضها ولا يُسأل في بعضها.

۞ ۞ ۞

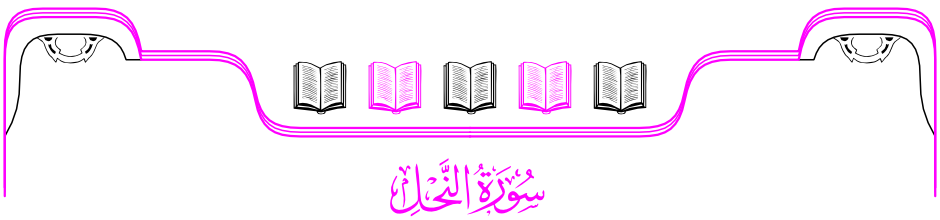

سُورَةُ النَّحْلِ

ومنها جمعتُ هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾.

قيل: أتى؛ بمعنى يأتي؛ فهو كقولك: إن أكرمتني أكرمتك.

وقد تقدم [في سورة الفاتحة] أن إخبار الله ـ تعالى ـ في الماضي والمستقبل سواء؛ لأنه آت لا محالة؛ كقوله ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ... ٤٤﴾.

۞ **الثانية**: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩﴾.

أي على الله بيان قصد السبيل.

والسبيل: الإسلام؛ أي على الله بيانه بالرسل والحجج والبراهين.

وقصد السبيل: استعانة الطريق؛ يقال: طريق قاصد؛ أي يؤدي إلى المطلوب.

ومنها جائر؛ أي ومن السبيل جائر؛ أي [مائل] عن الحق فلا يُهتدى به.

۞ **الثالثة**: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾.

ثبت في صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءتني امرأة

ومعها ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها فأخَذَتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليَّ النبي ـ ﷺ ـ فحدثته حديثها، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**».

ففي هذا الحديث ما يدل على أن البنات بليَّة؛ ثم أخبر أن في الصبر عليهن والإحسان إليهن ما يقي من النار.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو**». وضمَّ أصابعه. رواه مسلم.

الرابعة: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

رُوِيَ أن عوف بن مالك الأشجعي مرض، فقيل له: ألا نعالجك؟ فقال: ائتوني بالماء، فإن الله ـ تعالى ـ يقول ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾، ثم قال: ائتوني بعسل، فإن الله ـ تعالى ـ يقول ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، وائتوني بزيت، فإن الله ـ تعالى ـ يقول ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾؛ فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعًا ثم شربه فبرئ.

قال ابن عطية: ذهب قوم من أهل الجهالة إلى أن هذه الآية يُراد بها أهل البيت وبنو هاشم، وأنهم النحل، وأن الشراب القرآن والحكمة، وقد ذكر هذا بعضهم في مجلس الخليفة العباسي ـ أبي جعفر المنصور ـ؛ فقال له رجل ممن حضر: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم؛ فأضحك الحاضرين وبُهِت الآخر، وظهرت سخافة قوله.

◈ **السادسة**: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

إن قال قائل: قد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره، فكيف يكون شفاء للناس؟ قيل له: الماء حياة كل شيء، وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يضادُّه من علة في البدن.

◈ **السابعة**: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

أي يعتبرون؛ ومن العبرة في النحل بإنصاف النظر وإلطاف الفكر في عجيب أمرها؛ فيشهد اليقين بأن ملهمها الصَّنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة، وحذقها باحتيالها في تفاوت أحوالها هو الله ـ ﷻ ـ.

ثم إنها تأكل الحامض والمر والحلو والمالح والحشائش الضارة؛ فيجعله الله ـ تعالى ـ عسلًا حلوًا وشفاء، وفي هذا دليل على قدرته.

◈ **الثامنة**: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

هذا مثل ضربه الله لعبدة الأصنام، أي إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؛ فلما لم يكن يشركهم عبيدهم في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله ـ تعالى ـ في عبادة غيره من الأوثان والأنصاب وغيرهما مما عُبد؛ كالملائكة والأنبياء وهم عبيده وخلقه.

◈ **التاسعة**: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

قال العلماء: في قوله ـ تعالى ـ ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾

دليل على اتخاذ العِباد عدة الجهاد ليستعينوا بها على قتال الأعداء، وقد لبسها النبي ـ ﷺ ـ تقاة الجراحة ـ وإن كان يطلب الشهادة ـ وليس للعبد أن يطلبها بأن يستسلم للحتوف وللطعن بالسنان وللضرب بالسيوف، ولكنه يلبس لأمة (أي درع) حرب؛ لتكون له قوة على قتال عدوه، ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ويفعل الله بعدُ ما يشاء.

۞ **العاشرة:** ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

شبَّهت هذه الآية الذي يحلف ويُعاهد ويُبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة؛ تغزل غزلها وتفتله محكمًا؛ ثم تحلُّه [وتبطِلُه].

۞ **الحادية عشرة:** ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ﴾.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذ حالفت أخرى، ثم جاءت إحداهما قبيلة كثيرة قوية فداخلتها غدرت الأولى ونقضت عهدها ورجعت إلى هذه الكبرى.

۞ **الثانية عشرة:** ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ﴾.

أي أن الله ـ تعالى ـ ابتلى عباده بالتحاسد وطلب بعضهم الظهور على بعض، واختبرهم بذلك؛ من يجاهد نفسه فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها.

۞ **الثالثة عشرة:** ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ كرر ذلك تأكيدًا [للآية التي سبقتها].

فتزلَّ قدم بعد ثبوتها مبالغة في النهي عنه لعظم موقعه في الدين وتردده في معاشرات الناس؛ أي لا تعقدوا الأيمان [والعهود والمواثيق] بالانطواء على الخديعة والفساد فتزل قدم بعد ثبوتها، أي عن الأيمان بعد المعرفة بالله.

وهذه استعارة للمستقيم الحال يقع في شر عظيم ويسقط فيه؛ لأن القدم إذا زلَّت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر.

۞ **الرابعة عشرة:** ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾.

نهى عن الرشا وأخذ الأموال على نقض العهد؛ أي لا تنقضوا عهودكم لعَرَضٍ قليل من الدنيا. وإنما كان قليلًا وإن كثر؛ لأنه مما يزول؛ فهو [في الحقيقة] قليل.

۞ **الخامسة عشرة:** ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾.

فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتحول، وما عند الله ـ من مواهب فضله ونعيم جنته ـ ثابت لا يزول؛ لمن وفَّى بالعهد وثبت على العقد.

ولقد أحسن من قال:

المال ينفد حله وحرامه يومًا وتبقى في غدٍ آثامُهُ
ليس التقي بمتق لإلهِهِ حتى يطيب شرابُهُ وطعامُهُ

۞ **السادسة عشرة:** ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾.

فإذا أخذت في قراءته فاستعذ بالله من أن يعرض لك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه؛ وليس يريد استعذ بعد القراءة بل هو كقولك: إذا أكلت فقل بسم الله؛ أي إذا أردت أن تأكل.

[وقد تقدم مزيد من توضيح ذلك في سورة الفاتحة عند الحديث على الاستعاذة].

۞ **السابعة عشرة:** ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يُوعَظ المسلمون إلى يوم القيامة؛ فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين.

وقد قيل: إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة. والله أعلم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

ومنها جمعتـ هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

أخبر الله ـ تعالى ـ في الآية التي قبلها ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ أنه لم يهلك القرى قبل ابتعاث الرسل، لا لأنه يقبح منه ذلك إن فعل، ولكنه وعدٌ منه، ولا خلف في وعده.

فإذا أراد إهلاك قرية مع تحقيق وعده على ما قاله ـ تعالى ـ؛ أمر مترفيها بالفسق والظلم فيها فحق عليها القول بالتدمير.

يُعلمك أن من هلك هلك بإرادته، فهو الذي يسبب الأسباب ويسوقها إلى غاياتها ليحق القول السابق من الله ـ تعالى ـ.

۞ **الثانية**: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك، كما قرن شكرهما بشكره؛ فقال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾. وقال ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله قال: سألت النبي ـ ﷺ ـ أي العمل أحب إلى الله ـ ﷻ ـ؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قال: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**» قال ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

فأخبر ـ ﷺ ـ أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة؛ التي هي أعظم دعائم الإسلام.

ومن تمام برهما صلة أهل ودهما؛ ففي [صحيح مسلم] عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**».

وكان ـ ﷺ ـ يهدي [لصديقات] خديجة؛ بِرًّا بها ووفاء لها ـ وهي زوجته ـ فما ظنُّك بالوالدين.

۞ **الثالثة**: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره؛ لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر؛ فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قد صارا [عبئًا وتعبًا] عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه؛ فلذلك خص هذه الحالة بالذكر.

وأيضًا؛ فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة، ويحصل الملل ويكثر الضجر؛ فيظهر غضبه على أبويه، وتنتفخ لهما أوداجه، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر.

وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة؛ وهو السالم عن كل عيب؛ فقال ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

۞ **الرابعة**: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

أمر ـ تعالى ـ عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن

ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك؛ إذ ولِيَاك صغيرًا جاهلًا محتاجًا؛ فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكسواك؛ فلا تجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم.

۞ **الخامسة**: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

خص التربية بالذكر؛ ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية؛ فيزيده ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما.

۞ **السادسة**: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾.

[لما ذكر الله في الآية التي سبقت هذه الآية]؛ وهي قوله ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ... ﴿٢٦﴾﴾؛ خص نبيه ـ ﷺ ـ بقوله ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا... ﴿٢٨﴾﴾؛ وهو تأديب عجيب وقول لطيف بديع؛ أي لا تعرض عنهم إعراض مستهين عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم.

وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض وعائق يعوق، وأنت عند ذلك ترجو من الله ـ ﷻ ـ فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل؛ فإن قعد بك الحال فقل لهم قولًا ميسورًا.

وقيل: المعنى وإما تعرضن؛ أي إن أعرضت يا محمد عن إعطائهم لضيق يدٍ فقل لهم قولًا ميسورًا؛ أي أحسن القول وابسط العذر، وادع لهم بسعة الرزق، وقل إذا وجدت فعلت وأكرمت؛ فإن ذلك يعمل في مسرة نفسه عمل المواساة.

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا سُئِل وليس عنده ما يعطي سكت انتظارًا لرزق يأتي من الله ـ ﷻ ـ كراهة الرد؛ فنزلت هذه الآية؛ فكان ـ ﷺ ـ إذا سُئِل وليس عنده ما يعطي قال: «**يرزقنا الله وإياكم من فضله**». فالرحمة على هذا التأويل الرزق المنتظر.

۞ **السابعة**: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾.

هذا مجاز عبر به عن البخيل الذي لا يقدر من قلبه على إخراج شيء من ماله؛ فضرب له مثل الغُل (أي القيد) الذي يمنع من التصرف باليد.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾؛ ضرب بسط اليد مثلًا لذهاب المال، فإن قبض الكف يحبس ما فيها، وبسطها يذهب ما فيها.

وهذا كله خطاب للنبي ـ ﷺ ـ والمراد أمته، وكثيرًا ما جاء في القرآن؛ فإن النبي ـ ﷺ ـ لما كان سيدهم وواسطتهم إلى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب في ذلك.

۞ **الثامنة**: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾.

أمر الله ـ تعالى ـ في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة، بحسن الأدب وإلانة القول، وخفض الجناح وإطراح نزغات الشيطان؛ وقد قال ـ ﷺ ـ «**وكونوا عباد الله إخوانًا**».

۞ **التاسعة**: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

حُكي أن الصحابة رضوان الله عليهم تذاكروا القرآن فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أرَ فيه آية أرجى

وأحسن من قوله ـ تعالى ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ قدم غفران الذنوب على قبول التوبة، وفي هذا إشارة للمؤمنين. وقال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ: قرأت جميع القرآن من أوله إلى آخره فلم أرَ آية أحسن وأرجى من قوله ـ تعالى ـ ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾. وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أرَ آية أحسن وأرجى من قوله ـ تعالى ـ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾.

قلت ـ أي القرطبي ـ: وقرأت القرآن من أوله إلى آخره فلم أرَ آية أحسن وأرجى من قوله ـ تعالى ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾.

۞ **العاشرة**: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾.

أي وجهنا [ونوَّعنا القرآن] بكل مثل يجب به الاعتبار؛ من الآيات والعبر والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي وأقاصيص الأولين، والجنة والنار والقيامة.

۞ **الحادية عشرة**: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾.

أي ما أنا إلا بشرًا رسولًا أتبع ما يوحى إليَّ من ربي، ويفعل الله

ما يشاء من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحدًا من البشر أتى بهذه الآيات.

وقال بعض الملحدين: ليس هذا جوابًا مقنعًا، وغلطوا؛ لأنه أجابهم فقال: إنما أنا بشر لا أقدر على شيء مما سألتموني، وليس لي أن أتخيَّر على ربي، ولم تكن الرسل قبلي يأتون أممهم بكل ما يريدونه ويبغونه، وسبيلي سبيلهم، وكانوا يقتصرون على ما أتاهم الله من آياته الدالة على صحة نبوتهم، فإذا أقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم أن يقترحوا غيرها، ولو وجب على الله أن يأتيهم بكل ما يقترحونه من الآيات لوجب عليه أن يأتيهم بمن يختارونه من الرسل، ولوجب لكل إنسان أن يقول: لا أومن حتى أوتى بآية خلاف ما طلب غيري؛ وهذا يؤول [ويرجع ويصير] إلى أن يكون التدبير إلى الناس؛ وإنما التدبير إلى الله ـ تعالى ـ.

سُورَةُ الكَهْفِ

ومنها جمعتـ هذه الدرر:

۞ **الأولى**: [بين يدي السورة].

في صحيح مسلم عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أن نبي الله ـ ﷺ ـ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال**».

وفي مسلم ـ أيضًا ـ من حديث النواس بن سمعان «**فمن أدركه ـ يعني الدجال ـ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**».

۞ **الثانية**: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾.

والآية بسْط في التسلية؛ أي لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها فإنا إنما جعلنا ذلك امتحانًا واختبارًا لأهلها؛ فمنهم من يتدبر ويؤمن، ومنهم من يكفر، ثم يوم القيامة بين أيديهم؛ فلا يعظُمنَّ عليك كفرهم فإنا نجازيهم.

۞ **الثالثة**: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة.

وقد خرج النبي ـ ﷺ ـ فارًّا بدينه، وكذلك أصحابه، وجلس في الغار.

وهجر [الصحابة] أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم؛ رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين. فسُكنى الجبال ودخول الغيران، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظالم؛ هي سنة الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ والأولياء.

۞ **الرابعة**: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله ـ تعالى ـ بذلك في كتابه جل وعلا فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين المحبين للأولياء والصالحين، بل في هذا تسلية وأُنس للمؤمنين المقصرين عن درجات الكمال، المحبين للنبي ـ ﷺ ـ وآله خير آل.

روى الصحيح عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: بينا أنا ورسول الله ـ ﷺ ـ خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**ما أعددت لها؟**» قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة؛ ولكني أحب الله ورسوله. قال «**فأنت مع من أحببت**».

في رواية قال أنس بن مالك: فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ـ ﷺ ـ: «**فأنت مع من أحببت**».

قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم».

وهذا الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين كل ذي نفس، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين؛ كلبٌ أحب قومًا فذكره الله معهم؛ فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام، وحب النبي ـ ﷺ ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

۞ **الخامسة:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

وتنشأ هنا مسائل ممنوعة؛ فاتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها، إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز.

روى الصحيحان عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوَّروا فيه تلك الصور؛ أولئك شرار الخلق عند الله ـ تعالى ـ يوم القيامة**».

قال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد.

وروى [مسلم وغيره] عن أبي مرثد الغنوي قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها**».

أي لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى؛ فيؤدي إلى عبادة من فيها؛ كما كان السبب في عبادة الأصنام.

وروى الصحيحان عن عائشة وعبد الله بن عباس قالا: لما نزل برسول الله ـ ﷺ ـ [مرض الموت] طفق يطرح خميصة (أي ثوب) له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا**».

وروى مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله ـ ﷺ ـ أن يُجصَّص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه.

وروى [مسلم] عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ـ ﷺ ـ: ألا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبرًا مُشرفًا إلا سويته.

قال علماؤنا: ظاهره منع تسنيم القبور ورفعها وأن تكون لاطئة.

وذهب الجمهور إلى أن هذا الارتفاع المأمور بإزالته هو ما زاد على التسنيم، ويبقى للقبر ما يُعرف به ويُحترم، وذلك صفة قبر نبينا محمد ـ ﷺ ـ وقبر صاحبيه ـ [أبي بكر وعمر] رضي الله عنهما.

وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًا فذلك يُهدم ويُزال؛ فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبهًا بمن كان يُعظّم القبور ويعبدها؛ وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي أن ينبغي أن يقال: هو حرام.

والتسنيم في القبر: ارتفاعه قدر شبر؛ مأخوذ من سنام البعير.

۞ **السادسة**: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾.

ومعنى الآية: قل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس من ربكم الحق فإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال، يهدي من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر؛ ليس إليَّ من ذلك شيء، فالله يؤتي الحق من يشاء وإن كان ضعيفًا، ويحرمه من يشاء وإن كان قويًا غنيًا، ولست بطارد المؤمنين لهواكم؛ فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا.

وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر، وإنما هو وعيد وتهديد؛ أي إن كفرتم فقد أعدَّ لكم النار، وإن آمنتم فلكم الجنة.

۞ **السابعة**: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

وإنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا لأن في المال جمالًا ونفعًا، وفي البنين قوة ودفعًا؛ فصارا زينة الحياة الدنيا، لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين؛ لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تُتبِعوها نفوسكم.

وهو رد على عيينة بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف؛ فأخبر ـ تعالى ـ أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى، كالهشيم حين ذرته الريح؛ إنما يبقى ما كان من زاد القبر وعُدَد الآخرة.

۞ **الثامنة**: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾.

[رحلة موسى للقاء الخضر؛ ليتعلم منه] في هذا من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان في دأب السلف الصالح؛ وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح؛ فرسخت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام.

۞ **التاسعة**: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

إن قال قائل: كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله ـ تعالى ـ، وقال في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا...﴾. فأضاف العيب إلى نفسه.

[والجواب] لما كان ذلك خيرًا كله أضافه إلى الله ـ تعالى ـ وأضاف عيب السفينة إلى نفسه؛ رعاية للأدب؛ لأنها لفظة عيب فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه؛ كما تأدب إبراهيم ـ عليه السلام ـ في قوله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله ـ تعالى ـ [في قوله الذي أطعمني فهو يسقين] وأسند إلى نفسه المرض، إذ هو معنى نقص ومصيبة، فلا يضاف إليه ـ سبحانه وتعالى ـ من الألفاظ إلا ما يُستحسن منها دون ما يُستقبح، [ثم أضاف الشفاء إلى الله في قوله: فهو يشفين؛ فأضاف الشفاء لله، وأضاف المرض لنفسه؛ تأدُّبًا مع الله ألا يضيف إلى الله ما فيه عيب ونقص].

سُورَةُ مَرْيَمَ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾.

وهن؛ أي ضعف.

وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن، وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن؛ تداعى وتساقط سائر قوته؛ ولأنه أشد ما فيه وأصلبه؛ فإذا وهن كان ما وراءه أوهن منه.

قال العلماء: يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله ـ تعالى ـ عليه وما يليق بالخضوع؛ لأن قوله تعالى ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ إظهار للخضوع. وقوله ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ إظهار لعادات تفضله في إجابته أدعيته؛ أي لم أكن بدعائي إياك شقيًّا؛ أي لم تكن تخيّب دعائي إذا دعوتك؛ أي إنك عودتني الإجابة فيما مضى.

۞ **الثانية**: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾.

قالت طائفة: إنما كان مواليه مهملين للدين، فخاف بموته أن يضيع الدين، فطلب وليًّا يقوم بالدين بعده؛ حكى هذا القول الزجاج، وعليه فلم يسل من يرث ماله؛ لأن الأنبياء لا تُورث. وهذا هو الصحيح...

في تأويل الآية، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد وراثة العلم والنبوة، لا وراثة المال.

في كتاب أبي داود قال عليه الصلاة والسلام: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا؛ إنما ورثوا العلم**».

قال العلماء: دعاء زكريا ـ عليه السلام ـ في الولد إنما كان لإظهار دينه، وإحياء نبوته، ومضاعفة لأجره، لا للدنيا، وكان ربه قد عوَّده الإجابة؛ ولذلك قال ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾؛ أي بدعائي إياك. وهذه وسيلة حسنة؛ أن يتشفع إليه بنعمه، يستدر فضله بفضله.

إن قال قائل: هذه الآية تدل على جواز الدعاء بالولد، والله سبحانه وتعالى قد حذرنا من آفات الأموال والأولاد، ونبه على المفاسد الناشئة من ذلك؛ فقال ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. وقال ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾. فالجواب أن الدعاء بالولد معلوم من الكتاب والسنة. ثم إن زكريا ـ عليه السلام ـ تحرز فقال ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ وقال ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾. والولد إذا كان بهذه الصفة نفع أبويه في الدنيا والآخرة، وخرج من حد العداوة والفتنة إلى حد المسرَّة والنعمة.

وقد دعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنس خادمه فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته**». فدعا له بالبركة؛ تحرُّزًا مما يؤدي إليه الإكثار من الهلكة. وهكذا فليتضرع العبد إلى مولاه في هداية ولده، ونجاته في أولاه وأخراه؛ اقتداء بالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والفضلاء.

الثالثة: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾.

استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتومًا؛ فإن الله تعالى قد وكَّل ابن آدم إلى سعي ما فيه؛ لأنه أمر مريم بهز النخلة

لترى آية، وكانت الآية [في نزول الرطب] تكون [بدون أن تهز مريم النخلة؛ لكن الله يعلم مريم ويعلمنا السعي وبذل السبب].

الأمر بتكليف الكسب في الرزق سنة الله تعالى في عباده، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، خلافًا لما تقوله جهال المتزهّدة.

وقد كانت قبل ذلك يأتيها رزقها من غير تكسب كما قال ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾. فلما ولدت أُمرت بهز الجذع. قال علماؤنا: لما كان قلبها فارغًا فرغ الله جارحتها عن النصب، فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه، واشتغل سرها بحديثه وأمره، وكَلَها إلى كسبها، وردها إلى العادة بالتعلق بالأسباب في عباده.

قال الربيع بن خيثم: ما للنفساء عندي خير من الرطب لهذه الآية، ولو علم الله شيئًا هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم؛ ولذلك قالوا: التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت.

الرابعة: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾.

صِدْقُ الوعد محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده ـ وهو ـ الخلف مذموم، وذلك من أخلاق الفاسقين والمنافقين.

وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل فوصفه بصدق الوعد.

ولا خلاف أن الوفاء يستحق صاحبه الحمد والشكر، وعلى الخلف الذم. وقد أثنى الله تبارك وتعالى على من صدق وعده، ووفى بنذره؛ وكفى بهذا مدحًا وثناءً، وبما خالفه ذمًّا.

الخامسة: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾؛ أي في الكفر. ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ﴾؛

أي فليدعه في طغيان جهله وكفره؛ فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر؛ أي من كان في الضلالة مده الرحمن مدًّا حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعقابه. نظيره ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾، وقوله ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾، ومثله كثير؛ أي فليعِش ما شاء، وليوسع لنفسه في العمر؛ فمصيره إلى الموت والعقاب؛ وهذا غاية في التهديد والوعيد.

سُورَةُ طٰهٰ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾.

قال ابن عباس: السر حديث نفسك، وأخفى من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن وهو كائن، أنت تعلم ما تسر به نفسك اليوم، ولا تعلم ما تسر به غدًا والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسره غدًا، والمعنى؛ الله يعلم السر وأخفى من السر.

۞ **الثانية**: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾.

في [هاتين الآيتين] دليل على جواب السؤال بأكثر مما سُئِل؛ لأنه لما قال ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ ذكر أربعة معانٍ؛ وهي إضافة العصا إليه ـ وكان حقه أن يقول عصا ـ؛ والتوكؤ، والهش، والمآرب المطلقة.

وفي الحديث، سُئل النبي ـ ﷺ ـ عن ماء البحر؛ فقال «**هو الطهور ماؤه الحِلُّ ميتته**». ومثله في الحديث كثير.

۞ **الثالثة**: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾.

قال العلماء: لما لحقهما ما يلحق البشر من الخوف على أنفسهما عرَّفهما الله سبحانه أن فرعون لا يصل إليهما ولا قومه.

وهذه الآية ترد على من قال: إنه لا يخاف؛ والخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم به وثقتهم.

ولقد أحسن البصري ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله ـ أنه نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء، فحال الأسد بينهم وبين الماء، فجاء عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته، فقيل له: قد خاطرت بنفسك. فقال: لأن تختلف الأسنَّة (أي أسنان الأسد) في جوفي أحب إلي من أن يعلم الله أني أخاف شيئًا سواه ـ [قال الحسن البصري] قد خاف من كان خيرًا من عامر؛ موسى ـ ﷺ ـ حين قال له ﴿...إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾. وقال ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

وقال ـ حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم ـ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾.

قلت ـ أي القرطبي ـ: ومنه حفر النبي ـ ﷺ ـ الخندق حول المدينة تحصينًا للمسلمين وأموالهم، مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه أحد؛ ثم كان من أصحابه ما لا يجهله أحد من تحولهم عن منازلهم؛

مرة إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة؛ تخوفًا على أنفسهم من مشركي مكة؛ وهربًا بدينهم أن يفتنوهم عنه بتعذيبهم.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ومنها اخترتـ هذه الدُّرَّة:

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، فالسبب سنة الله في خلقه؛ فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة.

وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود ـ عليه السلام ـ أنه كان يصنع دروع [الحرب]، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حرَّاثًا، ونوح نجَّارًا، ولقمان خيَّاطًا، وطالوت دبَّاغًا.

فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس.

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

ومنها جمعت هاتين الدرّتين:

۞ **الأولى**: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾.

أي أيحسبون يا محمد أن الذي نعطيهم في الدنيا من المال والأولاد هو ثواب لهم، إنما هو استدراج وإملاء.

۞ **الثانية**: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾.

روى الترمذي، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذه الآية والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟. قال: لا يا بنت الصديق؛ ولكنهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدقون وهم يخافون ألا يُقبل منهم؛ أولئك الذين يسارعون في الخيرات.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ النُّورِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذين [أُقيم عليهم حد القذف هم] حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ولم يُسمع بحدّ لعبد الله بن أُبيّ.

قال علماؤنا: وإنما لم يُحد عبد الله بن أُبيّ؛ لأن الله تعالى قد أعد له في الآخرة عذابًا عظيمًا؛ فلو حُدَّ في الدنيا لكان ذلك نقصًا من عذابه في الآخرة وتخفيفًا عنه، مع أن الله تعالى قد شهد ببراءة عائشة ـ رضي الله عنها ـ وبكذب كل من رماها؛ فقد حصلت فائدة الحد، إذ مقصوده إظهار كذب القاذف وبراءة المقذوف؛ وإنما حُدَّ هؤلاء المسلمون؛ ليكفر عنهم إثم ما صدر عنهم من القذف؛ حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك في الآخرة.

۞ **الثانية**: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾.

هذا عتاب من الله ﷻ للمؤمنين في ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا.

وقيل: المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم؛ فإن كان ذلك يبعد فيهم؛ فذلك في عائشة.

ورُوي أن هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب الأنصاري وامرأته؛ وذلك أنه دخل عليها فقالت له: يا أبا أيوب، أسمِعت ما قيل؟! فقال: نعم، وذلك الكذب، أكنتِ أنتِ يا أم أيوب تفعلين ذلك! قالت: لا والله، قال: فعائشة والله أفضل منك. قالت أم أيوب: نعم.

فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله تعالى عليه المؤمنين إذ لم يفعله جميعهم.

قوله تعالى ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾. قال النحاس: معنى بأنفسهم بإخوانهم. فأوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلًا يقذف أحدًا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه، وتوعَّد من ترك ذلك ومن نقله.

قلت ـ القرطبي ـ ولأجل هذا قال العلماء: إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن، ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم؛ لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسدًا أو مجهولًا.

۞ **الثالثة:** ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

عتاب لجميع المؤمنين؛ أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان؛ وحقيقة البهتان أن يُقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة أن يُقال في الإنسان ما فيه.

۞ **الرابعة**: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

في هذه الآية دليل على أن القذف وإن كان كبيرًا لا يحبط الأعمال؛ لأن الله تعالى وصف مسطح بن أثاثة بعد قوله، بالهجرة والإيمان؛ وكذلك سائر الكبائر؛ ولا يحبط الأعمال غير الشرك بالله؛ قال الله تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

[وفي الآية دليل على أنَّ] من حلف على شيء لا يفعله فرأى فعله أولى منه؛ أتاه وكفر عن يمينه، أو كفر عن يمينه وأتاه.

۞ **الخامسة**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذين كرمهم وفضلهم بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار، وملَّكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو أن [يدخلوها] من غير إذن أربابها، أدَّبهم بما يرجع إلى الستر عليهم؛ لئلا يطلع أحد منهم على عورة.

روى الصحيحان وغيرهما، عن جابر بن عبد الله ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قال: استأذنت على النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فقال: من هذا؟ فقلت: أنا، فقال النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أنا أنا! كأنه كره ذلك.

قال علماؤنا: إنما كره النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ذلك؛ لأن قوله أنا لا يحصل بها تعريف، وإنما الحكم في ذلك أن يذكر اسمه.

۞ **السادسة**: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته؛ ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله؛ وقد قال: ﷺ ـ: «**إياكم والجلوس على الطرقات**». فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**».

۞ **السابعة**: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار، يعوّلون على ثواب أعمالهم، فإذا قدموا على الله تعالى؛ وجدوا ثواب أعمالهم محبطة بالكفر؛ أي لم يجدوا شيئًا كما لم يجد صاحب السَّراب إلا أرضًا لا ماء فيها.

(السَّراب هو ما يراه المشاهد والمسافر ـ خاصة في الصحراء وخطوط الأسفلت ـ كأنه ماء وليس بماء).

۞ ۞ ۞

سُورَةُ الفُرْقَانِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

﴿ الأولـــــــى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد ـ سبحانه ـ أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر؛ فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني. ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه؛ فالغني مُمتحن بالفقير؛ عليه أن يواسيه ولا يسخر منه. والفقير مُمتحن بالغني؛ عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق.

وأصحاب البلايا يقولون: لِمَ لم نعافَ؟. والأعمى يقول: لِمَ لم أُجعل كالبصير؟. وهكذا صاحب كل آفة. والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره. وكذلك العلماء وحُكَّام العدل. ألا ترى إلى قولهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾. فالفتنة أن يَحسد المبتلى المُعافى، ويحقر المعافى المبتلى. والصبر: أن يحبس كلاهما نفسه، هذا عن البطر، وذاك عن الضَّجَر.

﴿ الثانية: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾.

لأن الملك الذي يزول وينقطع ليس بملك؛ فبطُلَت يومئذ أملاك

المالكين وانقطعت دعاويهم، وزال كل مَلِك ومُلْكه. وبقي المُلك الحق لله وحده.

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾؛ أي لِمَا ينالهم من الأهوال ويلحقهم من الخزي والهوان، وهو على المؤمنين أخف؛ لأنه إذا كان على الكافرين عسيرًا، فهو على المؤمنين يسير.

۞ **الثالثة**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

قوله تعالى ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾؛ أي راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال.

قِيل: السبت القطع؛ فالنوم انقطاع عن الاشتغال؛ ومنه سَبَتَ اليهود؛ لانقطاعهم عن الأعمال فيه. وقيل: السبت الإقامة في المكان؛ فكأن السُّبات سكون وثبوت عليه؛ فالنوم سُبات على معنى أنه سكون عن الاضطراب والحركة.

۞ **الرابعة**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

قوله تعالى ﴿خِلْفَةً﴾ قال أبو عبيدة: الخِلفة كل شيء بعد شيء. وكل واحد من الليل والنهار يخلُف صاحبه.

وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾؛ أي يتذكر؛ فيُعلم أن الله لم يجعله كذلك عبثًا؛ فيعتبر في مصنوعات الله، ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم.

وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن: معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار، ومن فاته بالنهار أدركه بالليل.

روى مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ «**من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتِب له كأنما قرأه من الليل**».

ومن الغُبن العظيم [والخسارة] أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها؛ فيذهب النصف من عمره لغوًا، وينام سدس النهار راحة؛ فيذهب ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة، ومن الجهالة والسفاهة أن يُتلِف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية، ولا يُتلِف عمره بسهر في لذة باقية عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم.

۞ **الخامسة**: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾.

لما ذكر جهالات المشركين وطعنهم في القرآن والنبوة ذكر عباده المؤمنين أيضًا وذكر صفاتهم، وأضافهم إلى عبوديته؛ تشريفًا لهم، كما قال ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾.

فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره فهو الذي يستحق اسم العبودية، ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾؛ يعني في عدم الاعتبار.

۞ **السادسة**: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾.

التأديب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات في المباحات، فأدب

الشرع فيها ألا يُفرّط الإنسان حتى يضيع حقًا آخر أو عيالًا ونحو هذا، وألا يضيّق أيضًا ويقتر حتى يُجيع العيال ويفرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام؛ أي العدل [والتوسط]، والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله، وصبره على الكسب، أو ضد هذه الخصال، وخير الأمور أوساطها؛ ولهذا ترك رسول الله ـ ﷺ ـ أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن يتصدق بجميع ماله؛ لأن ذلك وسط بنسبة [تحمُّله] وصبره في الدين، ومنع غيره من ذلك.

۞ **السابعة**: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

وذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر، أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده، فتسكن عينه عن الملاحظة، ولا تمتد عينه إلى ما ترى؛ فذلك حين قرة العين وسكون النفس.

قوله تعالى ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾؛ أي قدوة يُقتدى بنا في الخير، وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي مُتَّقيًا قدوة؛ وهذا هو قصد الداعي.

۞ **الثامنة**: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾.

[اتصف عباد الرحمن بإحدى عشرة صفة؛ وهي]: التواضع، والحلم، والتهجُّد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والنزاهة عن الشرك والزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

الأولى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾؛ أرسل إليه جبريل بالوحي، واجعله رسولًا معي ليؤازرني ويعاونني. ولم يذكر هنا ليعينني؛ لأن المعنى كان معلومًا، وقد صرح به في سورة طه ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾. وفي القصص ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ وكأنَّ موسى أُذن له في هذا السؤال، ولم يكن ذلك استعفاء من الرسالة بل طلب من يعينه؛ ففي هذا دليل على أن من لا يستقل بأمر، ويخاف من نفسه تقصيرًا، أن يأخذ من يستعين به عليه، ولا يلحقه في ذلك لوم.

الثانية: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

كان من سنته تعالى في عباده إنجاء المؤمنين المصدقين من أوليائه، المعترفين برسالة رسله وأنبيائه، وإهلاك الكافرين المكذبين لهم من أعدائه؛ أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلًا وسماهم عباده؛ لأنهم آمنوا بموسى.

الثالثة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.

قال: المرسلين؛ لأن من كذَّب رسولًا فقد كذَّب الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل.

[فلا ينفع نفسًا إيمانُها إن آمنت بنبي وكفرت بآخر؛ كما هو حال اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ؛ لأن الإيمان بالأنبياء مسألة لا تقبل التجزئة ولا التفريق]؛ كما قال الله ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾.

۞ **الرابعة**: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢﴾.

والمعنى: [قال نوح عليه السلام] (وما علمي بما يعملون)؛ أي لم أُكلَّف العِلم بأعمالهم، إنما كُلّفت أن أدعوهم إلى الإيمان، والاعتبار بالإيمان لا بالحِرَف والصنائع؛ وكأنهم قالوا: إنما اتبعك هؤلاء الضعفاء طمعًا في العزة والمال. فقال: إني لم أقف على باطن أمرهم، وإنما إليَّ ظاهرهم.

۞ **الخامسة**: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥﴾.

قال ابن عباس: قالوا [يا صالح] إن كنت صادقًا فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء (أي حامل في شهرها العاشر) فتضع ونحن ننظر، وترد هذا الماء فتشرب، وتغدو علينا بمثله لبنًا. فدعا الله؛ وفعل الله ذلك فقال ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ﴾؛ أي حظٌّ من الماء؛ أي لكم شِرب يوم ولها شِرب يوم؛ فكانت إذا كان يوم شِربها شربت ماءهم كله أول النهار وتسقيهم اللبن آخر النهار، وإذا كان يوم شِربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم، ليس لهم في يوم ورودها أن يشربوا من شِربها شيئًا، ولا لها أن تشرب في يومهم من مائهم شيئًا.

۞ **السادسة**: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

إنما كان جواب هؤلاء الرسل واحدًا على صيغة واحدة [وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب في سورة الشعراء]؛ لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى، والطاعة والإخلاص في العبادة، والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة.

۞ **السابعة**: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾.

روى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رَدِفْت رسول الله ـ ﷺ ـ يومًا، فقال: «**هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟**» قلت: نعم. قال «**هيه**» فأنشدته بيتًا. فقال «**هيه**» ثم أنشدته بيتًا. فقال «**هيه**» حتى أنشدته مائة بيت. (**رَدِفْت**؛ أي كنت راكبًا معه على دابَّة. هيه؛ أي زدني).

وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحِكَم والمعاني المستحسنة شرعًا وطبعًا، وإنما استكثر النبي ـ ﷺ ـ من شعر أمية لأنه كان حكيمًا.

ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النُّهى (أي العقول)، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشّعر، أو تمثَّل به أو سمعه؛ فرضيه ما كان حكمة أو مباحًا، ولم يكن فيه فُحش ولا خنا ولا لمسلم أذى؛ فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله.

قيل ﴿ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ الزائلون عن الحق، ودُلَّ بهذا أن الشعراء أيضًا غاوون؛ لأنهم لو لم يكونوا غاوين ما كان أتباعهم كذلك.

الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم، فهو المتكلم بالباطل؛ حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحَّهم على حاتم، وأن يبهتوا البريء ويفسّقوا التقي، وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء؛ رغبة في تسلية النفس وتحسين القول.

في [صحيح مسلم] عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ـ ﷺ ـ إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**خذوا الشيطان ـ أو أمسكوا الشيطان ـ لأن يمتلئ جوف رجل قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا**».

قال علماؤنا: وإنما فعل النبي ـ ﷺ ـ هذا مع هذا الشاعر لِما علم من حاله، فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عُرِف من حاله أنه قد اتخذ الشعر طريقًا للتكسُّب؛ فيفرط في المدح إذا أُعطي، وفي الهجو والذم إذا مُنع؛ فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم.

ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام، وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه، ولا يحل الإصغاء إليه؛ بل يجب الإنكار عليه.

الثامنة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ﴾.

استثنى [الله] شِعر المؤمنين: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان على طريقهم من القول الحق؛ فقال ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في كلامهم. ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ﴾. وإنما يكون الانتصار بالحق، وبما حده الله ﷻ؛ فإن تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل.

۞ **التاسعة:** ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

في هذا تهديد لمن انتصر بظلم. قال شريح: سيعلم الظالمون كيف [ينجون] من بين يدي الله ﷻ؛ فالظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصرة.

والمعنى ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾؛ أيَّ مصير يصيرون وأيَّ مرجع يرجعون؛ لأن مصيرهم إلى النار؛ وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العقاب؛ وهو شر مرجِع.

۞ ۞ ۞

سورة النمل

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾.

في الآية دليل على شرف العلم [وعلو] محله وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجلّ النعم، وأن من أُوتيه فقد أُوتي فضلًا على كثير من عباد الله المؤمنين. ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾.

۞ **الثانية**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

لا اختلاف عند العلماء أن الحيوانات كلها لها أفهام وعقول. وقد قال الشافعي: الحمام أعقل الطير. قال ابن عطية: والنمل حيوان فطِن قوي، يدَّخر [الحبوب]، ويشق الحب بقطعتين؛ لئلا ينبت، ويشق الكزبرة بأربع قطع؛ لأنها تنبت إذا قُسمت شِقتين، ويأكل في عامه نصف ما جمع، ويستبقي سائره عُدة.

۞ **الثالثة**: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

في هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته؛ والمحافظة عليهم. فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخفَ على سليمان حاله.

ويرحم الله عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فإنه كان على سيرته؛ قال: لو أن سخلة (أي شاة) على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليُسأل عنها عمر. فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان.

وقد دل القرآن والسنة وبيَّنا ما يجب على الإمام من تفقد أحوال رعيته، ومباشرة ذلك بنفسه، والسفر إلى ذلك وإن طال [هذا السَّفر].

۞ **الرابعة**: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾.

في هذه الآية دليل على صحة المشاورة. وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾. وقد مدح الله تعالى الفضلاء بقوله ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾. والمشاورة من الأمر القديم وخاصة في الحرب؛ فهذه بلقيس امرأة جاهلية كانت تعبد الشمس ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾؛ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وإمضائهم على الطاعة لها، بعلمها بأنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم كان ذلك عونًا لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وَهَن [وضعف] في طاعتها؛ وكان في مشاورتهم وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم؛ ألا ترى إلى قولهم في جوابهم ﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

۞ **الخامسة:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾.

ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه؛ والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عن الإخلاص وقطع القلب عما سواه؛ وللإخلاص عنده سبحانه موقع [ومكان]، [سواء] وُجِد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر؛ كما قال تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾. وقوله ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾؛ فأجابهم عند ضرورتهم ووقوع إخلاصهم، مع علمه أنهم يعودون إلى شركهم وكفرهم. وقال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ فيُجيب المضطر لموضع اضطراره وإخلاصه.

وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن؛ دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**».

وفُسّر إجابة دعوة المظلوم بالنصرة على ظالمه بما شاء سبحانه؛ من قهر له، أو اقتصاص منه، أو تسليط ظالم آخر عليه يقهره؛ كما قال ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾.

وفي هذا تحذير من الظلم جُملة؛ لما فيه من سخط الله ومعصيته ومخالفة أمره؛ حيث قال على لسان نبيه في صحيح مسلم وغيره: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّمًا فلا تظالموا...**» الحديث.

فالمظلوم مُضطر، ويقرُب منه المسافر؛ لأنه منقطع عن الأهل والوطن منفرد عن الصديق والحميم، لا يسكن قلبه إلى مُسعِد، ولا مُعين لغربته؛ فتصدُق ضرورته إلى المولى؛ فيخلِص إليه في [الالتجاء]، وهو

المجيب للمضطر إذا دعاه، وكذلك دعوة الوالد على ولده؛ لا تصدر منه مع ما يعلم من [حنانه] عليه وشفقته؛ إلا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته، [ويأسه] من بِرّ ولده، مع وجود أذيته؛ فيسرع الحق إلى إجابته.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

قال الفراء: هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره؛ كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرًّا ولا بردًا؛ لأنه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شيء؛ فشُبّهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به.

۞ **الثانية**: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

تقدم [نفس الآية] في آل عمران، وإنما ذكره هاهنا؛ تحقيرًا لأمر الدنيا ومخاوفها؛ كأن بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة أنه يموت أو يجوع أو نحو هذا، فحقر الله شأن الدنيا؛ أي أنتم لا محالة ميتون ومحشورون إلينا؛ فالبِدَار إلى طاعة الله والهجرة إليه.

۞ **الثالثة**: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

أي شيء يُلهى به ويُلعب؛ أي ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول؛ كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات.

[قال الشاعر]:

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الأمور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن أن الدهر باقٍ سروره ... فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدًا ... وأيقن أن الدائرات تدورُ

وهذا كله في أمور الدنيا من المال والجاه والملبس الزائد على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات، وأما ما كان منها لله؛ فهو من الآخرة، وهو الذي يبقى.

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾؛ أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها.

سورة الروم

ومنها جمعت هذه الدرر:

❁ **الأولى**: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

أخبر تعالى بانفراده بالقدرة، وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه وبإرادته وقدرته؛ فقال ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾؛ أي إنفاذ الأحكام. ﴿مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾؛ أي من قبل هذه الغلبة ومن بعدها.

❁ **الثانية**: ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

ينصر من يشاء يعني من أوليائه؛ لأن نصره مختص بغلبة أوليائه لأعدائه، فأما غلبة أعدائه لأوليائه فليس بنصره؛ وإنما هو ابتلاء.

❁ **الثالثة**: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

قال بعض العلماء: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين؛ لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه، وذلك أنه لما قال جل وعز ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم...﴾. فيجب أن يقولوا: ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا، فيقال لهم: فكيف يتصور أن

تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي؛ فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب، فإذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد لله تعالى؛ فيبطُل أن يكون شيء من العالم شريكًا لله تعالى في شيء من أفعاله؛ فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك، إذ الشركة تقتضي المعاونة، ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضًا بالمال والعمل [والله سبحانه] منزَّه عن ذلك جل وعز.

سورة لقمان

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾.

الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال، وإلانة القول والدعاء إلى الإسلام برفق. وقد قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد قدمت عليها أمها، فقالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت عليَّ وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «**نعم**».

(**راغبة**؛ أي راغبة في الصلة والعطاء من ابنتها أسماء).

۞ **الثانية**: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾.

واصبر على ما أصابك يقتضي حضًّا [وحثًّا] على تغيير المنكر وإن نالك ضرر؛ فهو إشعار بأن المغيّر يُؤذَى أحيانًا؛ وهذا القدر على جهة الندب والقوة في ذات الله.

۞ **الثالثة**: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾.

في الآية دليل على تعريف قُبح رفع الصوت في المخاطبة بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية.

وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونًا بهم، أو بترك الصياح جُملة؛ وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتًا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل؛ فنهى الله ﷻ عن هذا الخُلُق [من خُلُق] الجاهلية بقوله ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾؛ أي لو أن شيئًا يُهاب لصوته لكان الحمار؛ فجعلهم في المثل سواء.

سورة الأحزاب

ومنها جمعت هذه الدرر:

الأولى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢﴾.

فيه دليل على ترك اتباع الآراء مع وجود النص [من الكتاب والسنة]، والخطاب له ولأمته ﷺ.

الثانية: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾.

القلب بضعة صغيرة، خلقها الله تعالى في الآدمي وجعلها محلًّا للعلم، فيحصي به العبد من العلوم ما لا يسع في أسفار (أي في كُتُب)، وهو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والإيمان، وموضع الإصرار والإنابة، ومجرى الانزعاج والطمأنينة.

الثالثة: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾.

هذه الآية أزال الله تعالى بها أحكامًا كانت في صدر الإسلام؛ منها: أنه ﷺ كان لا يصلي على ميّت عليه دين، فلما فتح الله عليه الفتوح، قال: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ فمن تُوفي وعليه دين فعلي قضاؤه**». متفق عليه.

۞ **الرابعة:** ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾.

شرَّف الله تعالى أزواج نبيه ـ ﷺ ـ بأن جعلهن أمهات المؤمنين؛ أي في وجوب التعظيم والمبرَّة والإجلال وحرمة النكاح.

۞ **الخامسة:** ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾.

ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له؛ فإن مُجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته.

۞ **السادسة:** ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

البارئ ﷻ عالم بما بدا [وظهر] وما خفي وما كان وما لم يكن، لا يخفى عليه ماض تقضَّى، ولا مستقبل يأتي؛ والمراد به هاهنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به في الآية قبلها، ممن أشير إليه بقوله ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾، ومن أشير إليه في قوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ﴾؛ فقيل لهم في هذه الآية: إن الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيكم عليها؛ فصارت هذه الآية منعطفة على ما قبلها مبيّنة لها. والله أعلم.

۞ **السابعة**: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب ـ لرسول الله ﷺ ـ: ونحن أيضًا؛ [هل] نكلمهن من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية.

ذكر الله تعالى في هذه الآية من يحل للمرأة البروز له، ولم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين. وقد يُسمَّى العم أبًا، قال الله تعالى ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ...﴾؛ وإسماعيل كان العم.

قوله تعالى ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾ لما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الأصناف وانجزمت الإباحة، عطف بأمرهن بالتقوى؛ وهذا في غاية البلاغة والإيجاز، كأنه قال: اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدينه إلى غيره. وخص النساء بالذكر وعيَّنهن في هذا الأمر؛ لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن. والله أعلم.

۞ **الثامنة**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

هذه الآية شرَّف الله بها رسوله ـ عليه السلام ـ حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهَّر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك.

والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره.

۞ **التاسعة**: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

أذية المؤمنين والمؤمنات هي أيضًا بالأفعال والأقوال القبيحة؛ كالبهتان الفاحش المختَلَق. وهذه الآية نظير الآية التي في النساء ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾.

وقد قِيل: إن من الأذية تعييره بحسب [ونسب] مذموم، أو حرفة مذمومة، أو شيء يَثْقُل عليه إذا سمعه؛ لأن أذاه في الجملة حرام.

وقد ميَّز الله تعالى بين أذاه وأذى الرسول، وأذى المؤمنين؛ فجعل الأول كفرًا والثاني كبيرة؛ فقال في أذى المؤمنين ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

۞ ۞ ۞

سورة سبأ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾.

قوله تعالى ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي ما يدخل فيها من قطر وغيره، كما قال ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الكنوز والدفائن والأموات [وغيرها]. وما يخرج منها من نبات وغيره، وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والمقادير والبركات، وما يعرج فيها من الملائكة وأعمال العباد.

۞ **الثانية**: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧﴾.

أي ينبئكم بأنكم تبعثون إذا مُزّقتم (أي يقول الكفار مستحيل بأن الله يبعث أجسادكم بعد أن أصبحت ممزقة ورفاتًا في القبور، لأن الرسول ﷺ كان يقول لهم بأن الله يبعث من في القبور يوم القيامة وكان الكفار ينكرون هذا).

قال الزمخشري: فإن قلت: كان رسول الله ﷺ مشهورًا في قريش، وكان إنباؤه بالبعث شائعًا عندهم، فما معنى قولهم ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ﴾ فنكَّروه لهم (أي قالوا هل ندلكم على رجل دون أن يذكروا اسم

النبي ـ ﷺ ـ مع أنهم يعرفونه) كما يدل على مجهول في أمر مجهول. قلتُ: كانوا يقصدون بذلك الهزؤ والسخرية، فأخرجوه مخرج التحكي ببعض الأحاجي التي يُتحاجى بها للضحك والتلهّي، متجاهلين به وبأمره.

۞ **الثالثة**: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

أَعلَم الله تعالى أن الذي قدر على خلق السماوات والأرض وما فيهن قادر على البعث وعلى تعجيل العقوبة لهم، فاستدل بقدرته عليهم، وأن السموات والأرض ملكه، وأنهما محيطتان بهم من كل جانب، فكيف يأمنون الخسف والكسف. كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة.

(إن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط...).

أي إن يشأ الله أَمَرَ الأرض فتنخسف بهم، أو السماء فتسقط عليهم كسفًا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾؛ أي دلالة ظاهرة لكل عبد تائب رجَّاع إلى الله بقلبه. وخص المُنيب بالذكر؛ لأنه المنتفع بالفكرة في حجج الله وآياته.

۞ **الرابعة**: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾.

في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف (أي تعلُّم الحرف) لا يُنقِص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم

وفضائلهم؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتنان. وفي الصحيح عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**إن خير ما أكل المرء من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**».

۞ **الخامسة**: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

أي [قال الكفار] فضَّلنا [الله] عليكم بالأموال والأولاد، ولو لم يكن ربكم راضيًا بما نحن عليه من الدين والفضل لم [يعطنا] ذلك.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾؛ [قال الكفار حسب زعمهم] أن من أحسن إليه فلا يعذبه. فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾.

أي أن الله هو الذي يُفاضل بين عباده في الأرزاق امتحانًا لهم، فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب، فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة؛ فلا تظنوا أموالكم وأولادكم تُغني عنكم غدًا شيئًا.

۞ **السادسة**: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

أي قل يا محمد لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد إن الله يوسع على من يشاء ويضيّق على من يشاء، فلا تغتروا بالأموال والأولاد بل أنفقوها في طاعة الله، فإن ما أنفقتم في طاعة الله فهو يخلفه عليكم؛ أي يعطيكم خَلَفَه وبدله، وذلك البدل إما في الدنيا وإما في الآخرة.

في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال ـ رسول الله ﷺ ـ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان؛ فيقول أحدهما: اللهم أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ مُمسكًا تلفًا**».

سورة فاطر

ومنها جمعت هذه الدرر:

الأولى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

قال الزمخشري: والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق؛ من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، [ورزانة] في العقل، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم؛ وما أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف.

الثانية: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦﴾.

أي فعادوه ولا تطيعوه؛ ويدلكم على عداوته إخراجه أباكم [آدم] من الجنة، وضمانه إضلالكم في قوله ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ... ۝١١٩﴾، وقوله ﴿...لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ... ۝١٧﴾؛ فأخبرنا جل وعز أن الشيطان لنا عدو مبين؛ واقتص علينا قصته، وما فعل بأبينا آدم ـ عليه السلام ـ، وكيف [سارع] لعداوتنا من قبل وجودنا وبعده؛ ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا.

قال ابن السمَّاك: يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه! وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته!

۞ **الثالثة**: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

تكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد والسابق؛ فقِيل: التقدير في الذكر لا يقتضي تشريفًا؛ كقوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾.

۞ **الرابعة**: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾.

هم قريش أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمدًا ـ ﷺ ـ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذَّبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وأقسموا بالله لئن جاءهم نذير؛ أي نبي ليكونن أهدى من إحدى الأمم؛ يعني ممن كذب الرسل من [اليهود والنصارى]. وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل، فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من أنفسهم؛ نفروا عنه ولم يؤمنوا به.

۞ ۞ ۞

سورة يس

ومنها جمعت هاتين الدُّرَّتين:

الأولى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

فآثار المرء التي تبقى وتُذكر بعد الإنسان من خير أو شر يُجازى عليها من أثر حسن؛ كعلم علَّموه، أو كتاب صنَّفوه، أو حبيس (أي وقف في سبيل الله) احتبسوه، أو بناء بنوه من مسجد، أو نحو ذلك. أو [أثر] سيئ؛ كوظيفة وظَّفها بعض الظُّلَّام على المسلمين، أو شيء أحدثه فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاهٍ، وكذلك كل سنة حسنة، أو سيئة يُستنُّ بها.

الثانية: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤُّف على من أدخل نفسه في غِمار الأشرار وأهل البغي، والتشمُّر في تخليصه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل [والشر] وهم كفرة عبدة أصنام.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾.

قال الزمخشري: فإن قلت: لِمَ خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونًا بالكفر بالآخرة؟

قلتُ: لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه؛ فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته. ألا ترى إلى قوله ـ ﷻ ـ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: يثبتون أنفسهم، ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال، وما خدع أهل الردة بعد رسول الله ـ ﷺ ـ ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة؛ فنُصبت لهم الحروب وجوهدوا. وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة، وتخويف شديد من منعها؛ حيث جعل المنع من أوصاف المشركين، وقُرِن بالكفر بالآخرة.

۞ **الثانية**: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ﴾.

أي بلغة غير العرب لقالوا لولا فُصّلت آياته؛ أي بُيّنت بلغتنا فإننا عرب لا نفهم الأعجمية. فبين أنه أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز،

إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظمًا ونثرًا، وإذا عجزوا عن معارضته؛ كان من أدل الدليل على أنه من عند الله، ولو كان بلسان العجم لقالوا: لا علم لنا بهذا اللسان.

الثالثة: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾؛ أي عاقبة ورخاء وغنى من بعد ضراء مسته من ضر وسقم وشدة وفقر؛ ليقولن هذا لي؛ أي هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعملي، فيرى النعمة حتمًا واجبًا على الله تعالى، ولم يعلم أنه ابتلاه بالنعمة والمحنة؛ ليتبين شكره وصبره.

الرابعة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

﴿فِي الْآفَاقِ﴾؛ يعني أقطار السماوات والأرض؛ من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها.

﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾؛ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول؛ فإن الإنسان يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين، وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما، وفي أذنيه اللتين يفرق بهما بين الأصوات المختلفة، وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ومنها هذه الدرة:

۞ ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾.

وبالجملة فالرحم على وجهين: عامة وخاصة؛ فالعامة رحم الدين، ويوجب مواصلتها بملازمة الإيمان والمحبة لأهله ونصرتهم، والنصيحة وترك مضارَّتهم، والعدل بينهم، والقيام بحقوقهم الواجبة؛ كتمريض المرضى، وحقوق الموتى ـ من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم ـ، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم.

وأما الرحم الخاصة؛ وهي رحم القرابة من طرفي الرجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة؛ كالنفقة وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة؛ حتى إذا تزاحمت الحقوق بُدِئ بالأقرب فالأقرب.

۞ ۞ ۞

سورة الفتح

ومنها جمعت هاتين الدرتين:

۞ **الأولى:** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾.

قال الشعبي في قوله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾؛ هو فتح الحديبية؛ لقد أصاب بها ما لم يُصِب في غزوة؛ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبويع بيعة الرضوان، وأُطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس؛ ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس.

۞ **الثانية:** ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

فمن انتقص واحدًا من [الصحابة] أو طعن عليه في روايته؛ فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين. قال الله تعالى ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، إلى غير ذلك من الآيات التي تضمنت الثناء عليهم، والشهادة لهم بالصدق والفلاح؛ قال الله تعالى ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ﴾، وقال [عن المهاجرين] ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾، ثم قال عزَّ من قائل

[عن الأنصار] ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾؛ وهذا كله مع علمه تبارك وتعالى بحالهم ومآل أمرهم، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**». وقال «**لا تسبُّوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» خرَّجهما البخاري.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

ومنها جمعتـ هذه الدرر:

الأولى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾.

قال السائب بن شريك: [الإنسان] يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبنًا محضًا لخرج منه الماء ومنه الغائط؛ فتلك الآية في النفس.

وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وما سوَّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنّي، وأنه إذا [خشن ويبس] شيء منها جاء العجز؛ فتبارك الله أحسن الخالقين. ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾؛ يعني بصر القلب؛ ليعرفوا كمال قدرته.

الثانية: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾.

قال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.

وقال الأصمعي: أقبلتُ ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابي [جالس] على [جمل] له متقلدًا سيفه وبيده قوسه، فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني أصمع. قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن؛ قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم. قال: فاتلُ عليَّ منه شيئًا؛ فقرأت ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ إلى قوله ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ ۝٢٢﴾. فقال: يا أصمعي حسبك. ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها، وقال: أعني على توزيعها؛ ففرقناها على من أقبل وأدبر، وولى نحو البادية وهو يقول ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ فمقتُّ نفسي ولُمتها، ثم حججت مع الرشيد، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوت رقيق، فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابي فسلم عليَّ وأخذ بيدي وقال: اتل عليَّ كلام الرحمن؛ فقرأت ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾. فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقًّا، وقال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم؛ يقول الله تبارك وتعالى ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾؛ فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذي أغضب الله حتى حلف! ألم يصدقوه في قوله حتى ألجؤوه إلى اليمين؟ فقالها ثلاثًا؛ وخرجت بها نفسه. (أي مات).

ورُوِي أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا فأصابته جائحة (أي آفة ومُصيبة أهلكت الزرع) فحزنوا لأجله، فخرجت عليهم [امرأة] فقالت: ما لي أراكم قد نكَّستم رؤوسكم وضاقت صدوركم، هو ربنا والعالم بنا، رزقنا عليه يأتينا به حيث شاء؛ ثم أنشأت تقول:

لو كان في صخرة في البحر راسية ... صُمًّا مُلملمة ملس نواحيها

رزق لنفس براها الله لانفلقت ... حتى تؤدي إليها كل ما فيها

أو كان بين طباق السبع مسلكها لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى تنال الذي في اللوح خط لها إن لم تنله وإلا سوف يأتيها

وفي هذا المعنى قصة الأشعريين (قوم الصحابي أبي موسى الأشعري) حين أرسلوا رسولهم إلى النبي ـ ﷺ ـ فسمع [رسولهم] قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾؛ فرجع ولم يكلم النبي ـ ﷺ ـ وقال: ليس الأشعريون بأهون على الله من الدَّواب.

الثالثة: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

قال مجاهد: يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجن والإنس، والخير والشر، والبُكرة والعشي، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطعوم والروائح والأصوات؛ أي جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا.

سُورَةُ الطُّورِ

ومنها جمعت هاتين الدُّرَّتين:

۞ **الأولى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقر بهم عينه، وتلا هذه الآية.

وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله** عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله؛ لتقر بهم عينه». صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة.

قال الزمخشري: فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم.

۞ **الثانية:** ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾.

أي بمرأى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل؛ بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك.

ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾؛ أي بحفظي وحراستي.

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

الأولى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾.

روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**كل يوم هو في شأن؛ قال: من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين**».

وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ من شأنه أن يُميت حيًّا، ويقر في الأرحام ما شاء، ويعز ذليلًا، ويذل عزيزًا.

وسأل بعض الأمراء وزيره عن قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾؛ فلم يعرف معناها، وأمهله إلى الغد؛ فانصرف كئيبًا إلى منزله. فقال له غلام له: ما شأنك؟ فأخبره. فقال له: عد إلى الأمير فإني أُفسّرها له، فدعاه فقال: أيها الأمير؛ شأنه أن يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيمًا، ويُسقِم سليمًا، ويبتلي معافى، ويعافي مبتلى، ويعز ذليلًا ويذل عزيزًا، ويفقر غنيًّا ويُغني فقيرًا؛ فقال له: فرجت عني فرج الله عنك.

الثانية: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾.

قيل: فيهن يعود على الفُرُش التي بطائنها من إستبرق؛ أي في هذه

الفرش قاصرات الطرف؛ أي نساء قاصرات الطرف، قصرن أعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم.

في هذه الآية دليل على أن الجن تغشى كالإنس، وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيَّات.

قال ضمرة: للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين؛ فالإنسيات للإنس، والجنيَّات للجن.

۞ **الثالثة**: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾.

حسان أي حسان الخَلق، وإذا قال الله تعالى [عن الحور العين بأنهن] حسان؛ فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن!.

۞ **الرابعة**: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

وكأنه يريد اسم [الرحمن] الذي افتتح به السورة؛ فوصف خلق الإنسان والجن، وخلق السماوات والأرض وصُنعه، وأنه كل يوم هو في شأن، ووصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها، وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان، ثم قال في آخر السورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾؛ أي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يُعلِمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم، وخلقت لكم السماء والأرض والخلق والخليقة والجنة والنار؛ فهذا كله لكم من اسم الرحمن؛ فمدح اسمه ثم قال ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾؛ جليل في ذاته، كريم في أفعاله.

۞ ۞ ۞

سورة المجادلة

ومنها هذه الدرة:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾.

هي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت ـ أخو عبادة بن الصامت ـ، [وكان أوس قد قال لها: أنت عليَّ كظهر أمي؛ وكانت هذه العبارة في الجاهلية تُعدُّ طلاقًا، فما زالت خولة تُراجع رسول الله ـ ﷺ ـ في ذلك؛ حتى نزلت هذه الآية ولم يُعد الظهار طلاقًا؛ وإنما جعل الله فيه الكفارة].

مر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في خلافته والناس معه على حمار، فاستوقفته [خولة] طويلًا، ووعظته، وقالت: يا عمر قد كنت تدعى عُميرًا، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب. وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني

لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، وهي تقول: يا رسول الله! أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر منّي، اللهم إني أشكو إليك! فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

ومنها جمعت هذه الدرر:

۞ **الأولى**: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾.

ضرب [الله] مثلًا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾؛ أي كلفوا العمل بها. كمثل الحمار يحمل أسفارًا؛ هي جمع سِفر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يسفر عن المعنى إذا قُرئ.

قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسِفر على ظهره أم زنبيل؛ فهكذا اليهود.

وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء.

۞ **الثانية**: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦﴾.

لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾؛ قال الله تعالى ﴿إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ فللأولياء عند الله الكرامة؛ ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤﴾؛ لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله.

الثالثة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾.

حرَّم [الله البيع] في وقت الجمعة على من كان مخاطبًا بفرضها. والبيع لا يخلو عن شراء؛ فاكتفى بذكر أحدهما، كقوله تعالى ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [وسرابيل أخرى تقيكم البرد؛ فاكتفى بالحر دون البرد]، وخص البيع؛ لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق.

سُورَةُ البَلَدِ

ومنها جمعت هاتين الدُّرَّتين:

۞ **الأولى**: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾.

في كبد؛ أي في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

قال علماؤنا: أول ما يُكابِد قطع سرته، ثم يُكابد الختان، ثم يُكابِد نبت أسنانه، وتحرك لسانه (أي نطق الكلام)، ثم يُكابِد الفِطام، والأوجاع والأحزان، ثم يُكابِد المعلم وصولته، والأستاذ وهيبته، ثم يُكابِد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يُكابِد شغل الأولاد، ثم يُكابد شغل الدور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها؛ من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن.

ويُكابد مِحنًا في المال والنفس؛ مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة، ولا يُكابد إلا مشقة، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مساءلة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرْض على الله، إلى أن يستقر به القرار؛ إما في الجنة وإما في النار، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد؛ ودل هذا على أن له خالقًا دبَّره، وقضى عليه بهذه الأحوال؛ فليمتثل أمره.

۞ **الثانية**: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧﴾.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ يعني أنه لا يقتحم العقبة من

فك رقبة، أو أطعم في يوم ذا مسغبة [كما ورد في الآيات التي قبل هذه الآية] حتى يكون من الذين آمنوا؛ أي صدقوا، فإن شرط قبول الطاعات الإيمان بالله. فالإيمان بالله بعد الإنفاق لا ينفع، بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان، قال الله تعالى في المنافقين ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾.

قالت عائشة: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم الطعام، ويفك العاني (أي الأسير)، ويعتق الرقاب، ويحمل على إبله لله، فهل ينفعه ذلك شيئًا؟ قال: «**لا، إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**». رواه مسلم.

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

ومنها هذه الدرة

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾.

لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة. وزيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسي؛ لأنها تذكر الموت والآخرة؛ وذلك يحمل على قصر الأمل، والزهد في الدنيا، وترك الرغبة فيها.

قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه؛ أن يكثر من ذكر هادم اللذات، ومفرّق الجماعات، وموتم البنين والبنات، ويواظب على مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين؛ فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه؛ فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه ران قلبه (أي على قلبه غشاوة تمنعه من الاعتبار والاتعاظ)، واستحكمت فيه دواعي الذنب؛ فإن مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير.

وينبغي لمن عزم على الزيارة، أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على القبور فقط؛ فإن هذه حالة

تشاركه فيها بهيمة، ونعوذ بالله من ذلك؛ بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه.

ويتجنب المشي على المقابر، والجلوس عليها، ويسلم إذا دخل المقابر؛ ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر؛ فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه؛ فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال؛ كيف انقطعت آمالهم، ولم تُغنِ عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمَّل من بعدهم نساؤهم، وشمل ذُلُّ اليتم أولادهم. وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددًا في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما خوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله؛ وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية؛ فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
من هو الإمام القرطبي؟	٧
سُورَةُ الفَاتِحَةِ	١٥
سُورَةُ البَقَرَةِ	١٩
سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ	٣٥
سُورَةُ النِّسَاءِ	٤٠
سُورَةُ المَائِدَةِ	٤٤
سُورَةُ الأَنْعَامِ	٤٩
سُورَةُ الأَعْرَافِ	٥٣
سُورَةُ الأَنْفَالِ	٥٥
سُورَةُ التَّوْبَةِ	٥٩
سُورَةُ يُونُسَ	٦٣
سُورَةُ هُودٍ	٦٦
سُورَةُ يُوسُفَ	٦٩
سُورَةُ الرَّعْدِ	٧٩
سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ	٨٢
سُورَةُ الحِجْرِ	٨٥
سُورَةُ النَّحْلِ	٨٧
سُورَةُ الإِسْرَاءِ	٩٣
سُورَةُ الكَهْفِ	٩٩
سُورَةُ مَرْيَمَ	١٠٥

الموضوع	الصفحة
سُورَةُ طٰهٰ	١٠٩
سُورَةُ الأَنبِيَاءِ	١١١
سُورَةُ المُؤمِنُونَ	١١٢
سُورَةُ النُّورِ	١١٣
سُورَةُ الفُرقَانِ	١١٧
سُورَةُ الشُّعَرَاءِ	١٢١
سُورَةُ النَّمْلِ	١٢٦
سُورَةُ العَنكَبُوتِ	١٣٠
سُورَةُ الرُّومِ	١٣٢
سُورَةُ لُقمَانَ	١٣٤
سُورَةُ الأَحزَابِ	١٣٦
سُورَةُ سَبَإٍ	١٤٠
سُورَةُ فَاطِرٍ	١٤٤
سُورَةُ يٰسٓ	١٤٦
سُورَةُ فُصِّلَتْ	١٤٧
سُورَةُ مُحَمَّدٍ	١٤٩
سُورَةُ الفَتحِ	١٥٠
سُورَةُ الذَّارِيَاتِ	١٥٢
سُورَةُ الطُّورِ	١٥٥
سُورَةُ الرَّحمٰنِ	١٥٦
سُورَةُ المُجَادِلَةِ	١٥٨
سُورَةُ الجُمُعَةِ	١٦٠
سُورَةُ البَلَدِ	١٦٢
سُورَةُ التَّكَاثُرِ	١٦٤
الفهرس	١٦٦

تفسير القرطبي